وزارة الثقافة
2026

# صوت الجيل 40

العدد 40 من الإصدار الجديد 2026
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

## لأجلِها تَعَلّمْتُ القِراءة/ جلال برجس

## الزّرقاء: كُتّابٌ شبابٌ، وأوراقٌ ملأى بذاكرةِ المكان/ ميمونة الشيشاني

## أدبُ الفيسبوك بينَ الإبداعِ ووهمِ الكتابة/ أ.د. عماد الضمور

## الشّبابُ والهُويّةُ وصراعُ الأجيالِ/ أسيل عزيزية

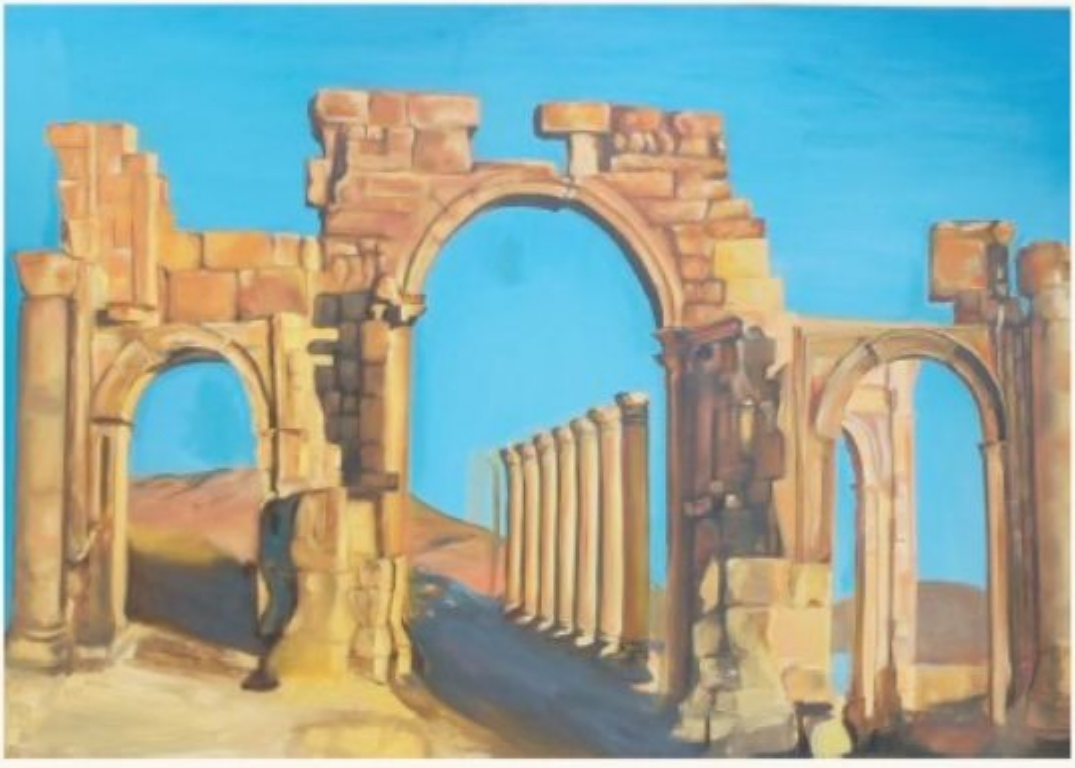

• للفنانة راما زياد

Sawtalgeel

# صوت الجيل 40

العدد 40 من الإصدار الجديد 2026

مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة





غلاف العدد ▲

للفنانة بشرى جرار


رئيس التحرير

جلال برجس

مدير التحرير

محمد المشايخ

سكرتيرة التحرير

فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير

تيسير الشماسين

علي شنينات

جعفر العقيلي

المدقق اللغوي

د. أنس الزيود

الإخراج الفني

عبدالهادي البرغوثي



المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة

E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo


المواد المنشورة في هذا العدد تُعبّر عن آراء كتّابها ولا تُعبر بالضرورة عن رأي المجلة

للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي :

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية. أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18-35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعرية على الشباب.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون إذن خطيٍّ من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكُتّاب الأردنيين.


يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة

www.culture.gov.jo

العنوان البريدي

الأردن - عمان - ص.ب 6140

الرمز البريدي 11118 عمّان

صوت الجيل
Sawtalgeel

# المحتويات


عتبة

لأجلها تَعلّمْتُ القراءة ........ جلال برجس 4

البوابة الرقمية

مساوئُ الذَّكاء الاصطناعيّ ........ علي شنينات 8

مصفوفة العدد

الزَّرقاء: المكانُ الذي شحذَ أقلامَ الكتابة.. كُتَّابُ شباب، وأوراقٌ

ملأى بذاكرةِ المكان ........ إعداد: ميمونة الشيشاني 12

الصَّرخةُ الأولى... ولادةٌ وكتابة ........ ميمونة الشيشاني 13

في الزَّرقاء... السّرُّ هنا! ........ د. محمد عبد الكريم الزيود 15

المكانُ حينَ يكتبُنا ........ ريم العفيف 17

المكانُ وحضورُهُ بينَ الشِّعرِ والحنين ........ قصي إدريس 19

شاهدةٌ على التّاريـــخ ........ قاسم الدراغمة 21

أماكنُ في الذّاكرة ........ نور أبو الروس 24

الزَّرقاء: المُعلِّمةُ الحيَّةُ للعيشِ والهُويّة ........ رنا حداد 26

ملتقى الأجيال

الكاتبةُ غزل المدادحة تُحاورُ الأديبة حنان بيروتي ........ 30

وَرد بلدي

بيتُ الرمال ........ محمود حلمي 38

أثرٌ لا يُرى ........ مسلم محمود النباهنة 40

وَمضات ........ هدى الأحمد 41

وألقى الرّجاءُ عصاه فاستقرَّتِ الروح ........ فرح بني عامر 42

وجعٌ بلا شهود ........ رنيم العمري 44

العدد40 من الإصدار الجديد 2026
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية
40
2026

# contents


ورد بلدي

| | | |
|---|---|---|
| سعادةٌ خافتة | بسمة نعيم | 45 |
| منطقةُ (واحد وخمسين) | بشرى البدارين | 47 |
| ظِلالُ عمّان | سماح موسى | 48 |

خرائط البوح

| | | |
|---|---|---|
| العينُ بئرٌ للمحظوظ | حلا السويدات | 50 |

المختبر

| | | |
|---|---|---|
| أدبُ الفيسبوك بينَ الإبداعِ ووهمِ الكتابة | أ.د. عماد الضمور | 54 |
| «العابرة والبقايا» لبلقيس الفارسية.. تشظّي الذّات الأنثويّة وتحوّلات المعنى | د. مي بكليزي | 57 |
| قراءة في رواية (شبّاك أمّ علي) لمحمد العامري | إياد أبو ريان | 59 |
| الذّكاءُ الاصطناعيُّ مِنْ أجلِ الأرض | د.عاطف العيايدة | 61 |
| «فوضاي تعشقني» لحسن النبراوي.. تكثيف المعنى | دالية حسن حسين | 63 |
| ترانيمُ الأجيال: حينَ يحفظُ الماضي صوتَهُ في ذاكرةِ المُستقبل | رنا غريزات | 64 |
| أجيالٌ وأجيال | أمل المشايخ | 66 |
| الشّبابُ والهُويّةُ وصراعُ الأجيالِ في زمنِ التكنولوجيّا المفتوح | أسيل عزيزية | 69 |
| هل يقرأُ الكتّابُ الكبارُ أدبَ الشّباب | لطيفة محمد حسيب القاضي | 72 |
| (قادة العقول) للكاتبة الشابّة هبة صلاح الدين: رحلةٌ فكريّةٌ في عوالمَ متعدّدة | أماني خالد الشناق | 75 |
| الأدباءُ الشّبابُ والإتباعُ الشّاذُّ في العاميّة | محمد حسين الضامن | 76 |
| الملكُ عبدُ اللهِ الأوّل شاعرًا | معتصم النداف | 79 |
| الذّكرياتُ الزّائفةُ المُشتركة... ماذا يكمنُ وراءَ ظاهرةِ (مانديلا)؟ | ترجمة: رند جميل المحمد | 82 |

مراسيل

| | | |
|---|---|---|
| الاعتبارُ الماهويّ للآلةِ الذكيّة: العلاقةُ بينَ الطبيعةِ البشريّةِ والروبوت | ميثم الخزرجي | 88 |

نقوش

| | | |
|---|---|---|
| الزّرقاء.. سيفٌ على خاصرةِ الصّحراء | محمد راتب العموش | 92 |

## عتبة

# لأجلِها تَعَلّمْتُ القراءة

جلال برجس

بعدَ مرورِ ثلاث سنوات عليَّ في المدرسة، بتُّ قادرًا على القراءة، فرحتُ أتجهّز للحظة التي أهزم فيها حزنًا رأيته في وجه أمّي، يومَ أخبرتني بأسلوب طفلة عن عجزها عن قراءة القرآن، ولما شعرتُ به وأنا أفتح الحقيبة الجلديّة، وأنظر في رسائل عمّي (عزيز) من غير قدرة على فهم ما يقوله فيها.

كان ذلك في مساء صيف 1979م، نجلس أنا وشقيقاتي وأشقّائي بمعيّة أمّي قبالةَ تلفاز لا ألوان فيه إلّا الأبيض والأسود، مربوط ببطارية سيّارة تكفي أيامًا فقط لتشغيله، نتابعُ مسلسلًا عاطفيًّا يحكي قصة حبّ فيها الكثير من الوجع، وتجفّف دموعها بباطن يدها كلّما علَتْ وتيرة المشاهد.

حينما انتهى المسلسل نهضَتْ بتكاسل، وجهّزت لنا فراشَ النوم، مجموعةً من الفرشات الصوفيّة تصفّها جنبًا إلى جنب، تغلّفها بغطاء بلاستيكيّ رقيق تعلوه بطانيّة، يحمي الفرشات من تبوّل بعضنا الليليّ، كان فراشًا نندسّ فيه، ونروح في ربع ساعة من المزاح إلى أن ننام.

ليلتها لم أذهب إلى الفراش، بقيتُ بقربها وهي مستلقية على جنبها، تُسند رأسها بيدها، وتغرسُ كوعها في الوسادة، وتنظر في الفراغ رغم نعاسها الواضح. حملتُ القرآن ورحتُ أقرأ، هكذا من دون مقدّمات، انتصبت جالسةً، وعلى وجهها ترتسم دهشةٌ تعلوها البهجة، ثم اتّسعت حدقتاها، وأخذت شفتاها تتراقصان؛ فأجهشَتْ ببكاء صامت.

لم أتوقّف عن القراءة، كانت تُنصت باهتمام كبير، ويدها مرّة تلامس رأسي، وأخرى تضعها على كتفي، ليلتها كنت أعي أنّي أفعل لأجلها ما يمكن أن يُضيف إلى روحها الكثير من الفرح. استلقَتْ في فراش النوم، وأنا ما أزال أقرأ من دون توقّف إلى أن نامت، كما ينام الأطفال وأمهاتهم يروينَ عليهم القصص.

كان وجهها في أعلى درجات صفائه، وأنفاسها هادئة مطمئنة، رفعتُ غطاء النوم ولذتُ بحضنها، طوّقَتْ عُنقي بذراعها، فربحت السّكينة. حين استفقتُ صباحًا، لم تكن ملابسي مُبتلّة، كانت آخر ليلةٍ أبول فيها على نفسي، بعد سنين

• لوحة للفنان رفيق اللحام

كنتُ أراني فيها أقفُ على مرتفعٍ يُطِلّ على مدينة وأبول، فأصحو حينما يبرد السائل، وتبرد ملابسي، يومها ذهبتُ إلى بيت جَدّي، وفتحتُ الحقيبة الجلديّة، ورحت أقرأ رسائل عمّي (عزيز).

كنتُ أقرأ بصوت مسموع، أُعيد العبارات وأتوقّف عند بعضها، رسائل منها ما يصف المدن والقرى التي زارها في رومانيا، ومنها ما يتحدّث فيها عن دراسته وأحلامه، وكيف سيخرج بالعائلة إلى ما هو أفضل. كانَتْ له لغة رقيقة، جميلة، قادرة على أن تأخذ قارئها إلى عمق ما أراد أن يصل إليه، إنّها فتنة اللغة حينما تصبح طيّعة في طريق السرد.

من قبلُ حفظتُ أسماء المدن، والشوارع، وأسماء أصدقائه، منذ أن كان يتحدّث عنهم عندما يعود إلى (حنينا). وحينما قرأتُ رسائله وقف الحُلم بالسَّفر عند مسمعي، وهمس لي بما أريد، بالرّغم من أنّي كنتُ أعتقد أنَّ المسافة بين (حنينا) وبين رومانيا قصيرة. إنّها سذاجةُ ولد قرويّ لم يكن يعرف من الجغرافيا إلّا ما هو في حدود البصر.

في تلك الأيام اتّسعت رقعة القرية، لكنّها بقيت مكانًا وادعًا، وبيوتها تربض على تلك التلّة التي تُطِلّ على مادبا. مدينة منذ زمن ما قبل المدرسة، أجلس قرب البيت على مرتفع، أُرخي رأسي بين يديّ، وأتأمّلها بعطش أسبابه ما تزال غامضة. كنتُ أحلم بالمدينة من دون أن أدري أيّ الأشياء يمكن أن تسلُبَها منّي المدن، وأيّ الأشياء يمكن أن توفّرها لي القرية.

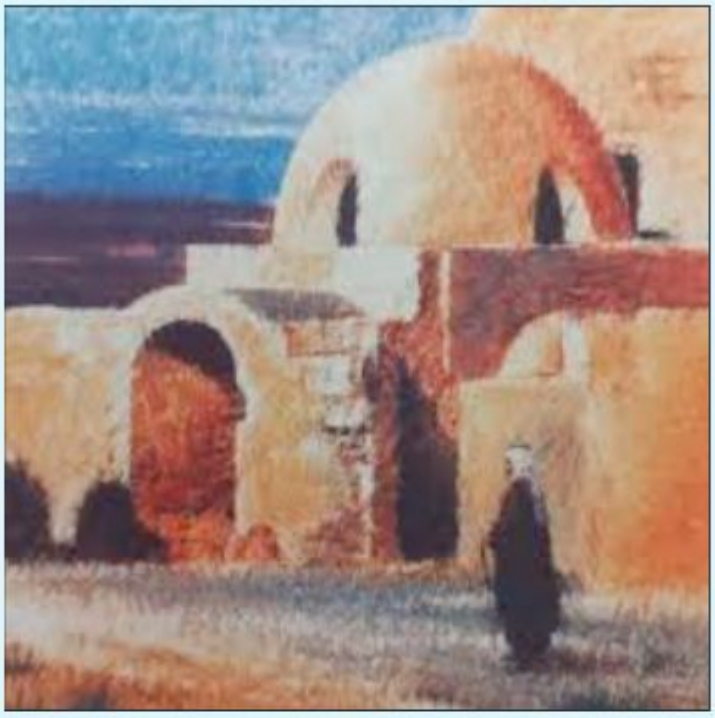

• لوحة للفنان فاروق لمبز

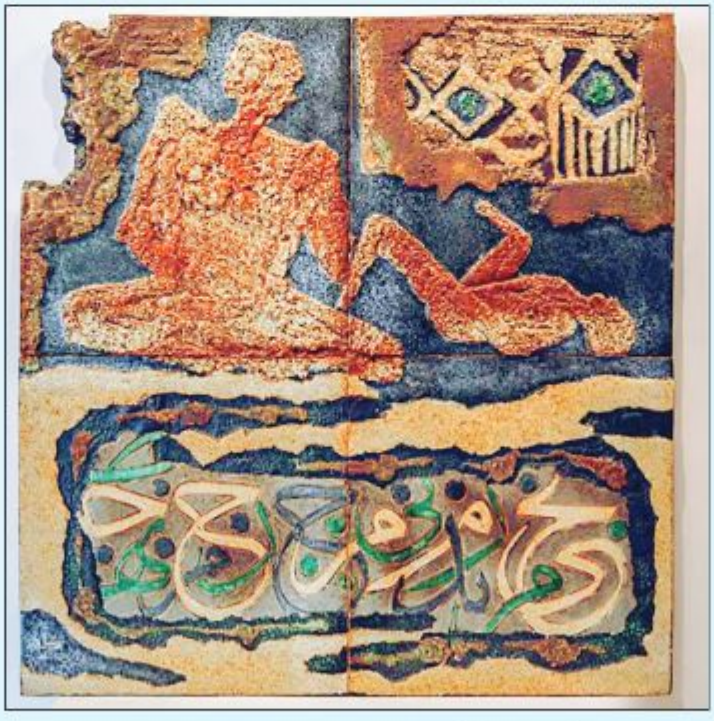

• من أعمال الخزّاف محمود طه

البوابة الرقمية

# مساوئُ الذَّكاء الاصطناعيّ

علي شنينات

# مساوئُ الذَّكاء الاصطناعيّ

علي شنينات

يمتلك الذَّكاءُ الاصطناعيُّ قيمةً هائلة، لكنَّ تحقيق الفوائد الكاملة للذَّكاء الاصطناعيّ يتطلّب مواجهة مخاطره المُحتملة وإدارتها.

الأنظمة المتقدّمة نفسها المُستخدَمة في اكتشاف أدوية جديدة، وفحص الأمراض، ومواجهة تغيُّر المناخ، والحفاظ على الحياة البريّة، وحماية التنوّع البيولوجيّ، يمكن أن تُنتج أيضًا خوارزميّات متحيّزة تُسبّب الضَّرر، وتقنيّات تُهدّد الأمن والخصوصيّة، وحتى وجود الإنسان.

إليكَ نظرة أقرب على مخاطر الذَّكاء الاصطناعيّ:

## التَّحيّز

البشر مُتحيّزون بالفطرة، والذَّكاء الاصطناعيّ الذي نُطوّره يمكن أن يعكس هذه التحيّزات، هذه الأنظمة تتعلّم التحيّزات بشكل غير مقصود، التي قد تكون موجودة في بيانات التدريب، وتظهر في خوارزميّات التعلّم الآليّ ونماذج التعلّم العميق التي تدعم تطوير الذَّكاء الاصطناعيّ. وقد تستمرّ هذه التحيّزات المُكتسَبة أثناء نشر الذَّكاء الاصطناعيّ، ما يؤدّي إلى نتائج مُنحازة.

يمكن أن يؤدّي تحيّز الذَّكاء الاصطناعيّ إلى عواقب غير مقصودة قد تكون ضارّة، تتضمّن الأمثلة أنظمة تتبُّع المُتقدّمين التي تُميّز على أساس الجنس، وأنظمة التشخيص الصّحّيّ التي تعطي نتائج أقلّ دقّة للفئات المحرومة من الخدمات تاريخيًّا، وأدوات الشرطة التنبؤيّة التي تستهدف المجتمعات المُهمَّشة بشكل غير متناسب، وغيرها.

## تهديدات الأمن الإلكترونيّ

يمكن للمُهاجمين استغلال الذَّكاء الاصطناعيّ لشنّ الهجمات الإلكترونيّة، فَهُم يتلاعبون بأدوات الذَّكاء الاصطناعيّ لاستنساخ الأصوات، وانشاء هُويّات مُزيّفة، وصياغة رسائل تصيّد احتياليّ مُقنعة، كلّ ذلك بهدف الاحتيال، أو الاختراق، أو سرقة هُويّة الشخص، أو المساس بخصوصيّته وأمنه.

وبينما تستفيد المؤسّساتُ من التقدّم التكنولوجيّ، مثل الذَّكاء الاصطناعيّ التوليديّ، فإنَّ (24 %) فقط من مبادرات الذَّكاء الاصطناعيّ التوليديّ محميّة، يُهدّد هذا النقص في الأمن تعرّض البيانات ونماذج الذَّكاء الاصطناعيّ للاختراقات، التي يبلغ متوسّط تكلفة الاختراق العالميّ لها (4.88) ملايين دولار أمريكيّ في عام 2024م.

## مشكلات خصوصيّة البيانات

تُعَدّ النماذج اللغويّة الكبيرة (LLMs) نماذج الذَّكاء الاصطناعيّ الأساسيّة للعديد من تطبيقات الذَّكاء الاصطناعيّ التوليديّ، مثل المساعدين الافتراضيّين، وروبوتات المحادثة المدعومة بالذَّكاء الاصطناعيّ الحواريّ، كما يوحي اسمها، تتطلّب هذه النماذج اللغويّة حجمًا هائلًا من بيانات التدريب.

لكنَّ البيانات التي تُستخدَم لتدريب النماذج اللغويّة الكبيرة، غالبًا ما يتمّ جمعها عبر برامج الزحف على الويب، التي تقوم بكشط المعلومات

وجمعها من المواقع الإلكترونيّة، وغالبًا ما يتمّ الحصول على هذه البيانات دون موافقة المُستخدمين، وقد تحتوي على معلومات تعريف شخصيّة (PII)، وأنظمة الذّكاء الاصطناعيّ الأخرى التي تُقدّم تجارب عملاء مُخصّصة، قد تجمع بيانات شخصيّة أيضًا.

## الأضرار البيئيّة

يعتمد الذّكاء الاصطناعيّ على عمليّات حسابيّة مُكثّفة، تستهلك طاقةً كبيرةً، وتترك بصمةً كربونيّةً عالية، ويتطلّب تدريب الخوارزميّات على مجموعات بيانات كبيرة وتشغيل النماذج المُعقّدة، كميّات هائلة من الطاقة، ممّا يُسهم في زيادة الانبعاثات الكربونيّة. وتُشير إحدى الدراسات إلى أنّ تدريب نموذج واحد لمعالجة اللغة الطبيعيّة ينبعث منه أكثر من (600) ألف رطل من ثاني أكسيد الكربون، أي ما يقارب خمسة أضعاف متوسط انبعاثات السيّارة خلال عمرها الافتراضيّ.

يُعَدّ استهلاكُ المياه مصدرَ قلقٍ آخر، فالعديد من تطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ تعمل على خوادم في مراكز البيانات، التي تولّد حرارةً كبيرةً، وتتطلّب كميّات كبيرةً من المياه للتبريد. وقد وجدت دراسةٌ أنّ تدريب نماذج GPT-3 في مراكز بيانات Microsoft بالولايات المتحدة، يستهلك (5.4) ملايين لتر من الماء، وأنّ معالجة (10) إلى (50) مطالبة تستخدم حوالي (500) مل، وهو ما يعادل زجاجة مياه عادية.

## المخاطر الوجوديّة

في مارس 2023م، بعد مرور أربعة أشهر فقط على إطلاق ChatGPT بواسطة OpenAI، دعت رسالة مفتوحة من قادة التكنولوجيا إلى تعليق فوريّ لمدة ستة أشهر لتدريب أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ الأقوى من GPT-4. بعد شهرين حذّر Geoffrey Hinton، المعروف بأنّه أحد كبار روّاد الذّكاء الاصطناعيّ، من أنّ التطوّر السريع للذّكاء الاصطناعيّ قد يتجاوز قريبًا مستوى الذّكاء البشريّ.

تبع ذلك بيانٌ آخرُ من علماء الذّكاء الاصطناعيّ وخبراء علوم الكمبيوتر وشخصيات بارزة، دعا إلى اتّخاذ إجراءات للحدّ من خطر الفناء الناتج عن الذّكاء الاصطناعيّ، معتبرًا هذا الخطر مكافئًا لمخاطر

الحرب النوويّة والأوبئة.

وعلى الرغم من أنّ هذه المخاطر الوجوديّة تُعَدّ أقلّ إلحاحًا مقارنةً بالمخاطر الأخرى المُرتبطة بالذّكاء الاصطناعيّ، فإنّها لا تزال ذات أهميّة بالغة. يشير الذّكاء الاصطناعيّ القويّ أو الذّكاء الاصطناعيّ العامّ إلى آلة نظريّة تمتلك ذكاءً شبيهًا بالإنسان، في حين يشير الذّكاء الاصطناعيّ الفائق إلى نظام ذكاء اصطناعيّ متقدّم افتراضيّ يتجاوز قدرات الذّكاء البشريّ.

## انتهاك حقوق المُلكيّة الفكريّة

أصبح الذّكاء الاصطناعيّ التوليديّ بارعًا في محاكاة المبدعين، حيث يُنتج صورًا تعكس أسلوب الفنّان، وموسيقى تُشبه صوت المُغنّي، أو مقالات وقصائد تُشبه أسلوب الكاتب. ومع ذلك، يبرز تساؤل كبير: من يملك حقوق النشر للمحتوى الذي يُنشئه الذّكاء الاصطناعيّ، سواء تمّ إنتاجه بالكامل باستخدامه أو بمساعدة منه؟

لا تزال قضايا المُلكيّة الفكريّة (IP) المتعلّقة بالأعمال الناتجة عن الذّكاء الاصطناعيّ في تطوّر مستمرّ، والغموض المحيط بحقوق المُلكيّة يشكّل تحدّيات للمؤسّسات.

## فقدان الوظائف

من المتوقّع أن يُحدث الذّكاء الاصطناعيّ تحوّلًا كبيرًا في سوق العمل، ما يُثير مخاوف من أن تؤدّي الأتمتة المدعومة بالذّكاء الاصطناعيّ إلى إزاحة

العمّال. وفقًا لتقرير المنتدى الاقتصاديّ العالميّ، تتوقّع قرابة نصف المؤسّسات المشاركة في الاستطلاع، أن يؤدّي الذّكاء الاصطناعيّ إلى ظهور وظائف جديدة، في حين يرى ما يقارب ربعها أنّه قد يتسبّب في فقدان الوظائف.

وفي حين يُعزّز الذّكاء الاصطناعيّ نمو أدوار معيّنة، مثل متخصّصي التعلّم الآليّ، ومهندسي الروبوتات، ومتخصّصي التحوّل الرقميّ، فإنّه يدفع في الوقت نفسه إلى تراجع وظائف في مجالات أخرى، ويشمل ذلك أدوارًا مثل الأعمال الكتابيّة، والسكرتارية، وإدخال البيانات، وخدمة العملاء، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. لذا أفضل وسيلة للتقليل من هذه الخسائر هي تبنّي نهج استباقيّ يدرس كيفيّة استفادة الموظّفين من أدوات الذّكاء الاصطناعيّ؛ لتعزيز أعمالهم، مع التركيز على التمكين بدلًا من الاستبدال.

## المعلومات المُضلّلة والتلاعب

كما هو الحال مع الهجمات الإلكترونيّة، تستغلّ الجهات الفاعلة الضارّة تقنيّات الذّكاء الاصطناعيّ لنشر المعلومات المُضلّلة والأكاذيب؛ بهدف التأثير في قرارات الأشخاص وتصرّفاتهم والتلاعب بها. على سبيل المثال، تمّ إنشاء مكالمات روبوتيّة باستخدام الذّكاء الاصطناعيّ تحاكي صوت الرئيس (جو

بايدن)؛ لإقناع عدد من الناخبين الأمريكيّين بعدم التوجّه إلى صناديق الاقتراع.

وبالإضافة إلى التضليل المرتبط بالانتخابات، يمكن للذكاء الاصطناعيّ إنتاج وسائط مُزيّفة، وهي صور أو مقاطع فيديو تمّ تعديلها لتزوير ظهور شخص وهو يقول أو يفعل شيئًا لم يقم به أبدًا. ويمكن أن تنتشر هذه الوسائط المُزيّفة عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ، ممّا يزيد من انتشار المعلومات المُضلّلة، ويُضرّ بالسمعة، ويُعرّض الضحايا للتحرّش أو الابتزاز.

تُسهم أيضًا ظواهر هلوسات الذّكاء الاصطناعيّ في نشر المعلومات المُضلّلة، وتتراوح هذه المُخرَجات غير الدقيقة، لكنّها مُقنّعة بين أخطاء بسيطة في الحقائق إلى معلومات مختلقة، قد تتسبّب في حدوث أضرار.

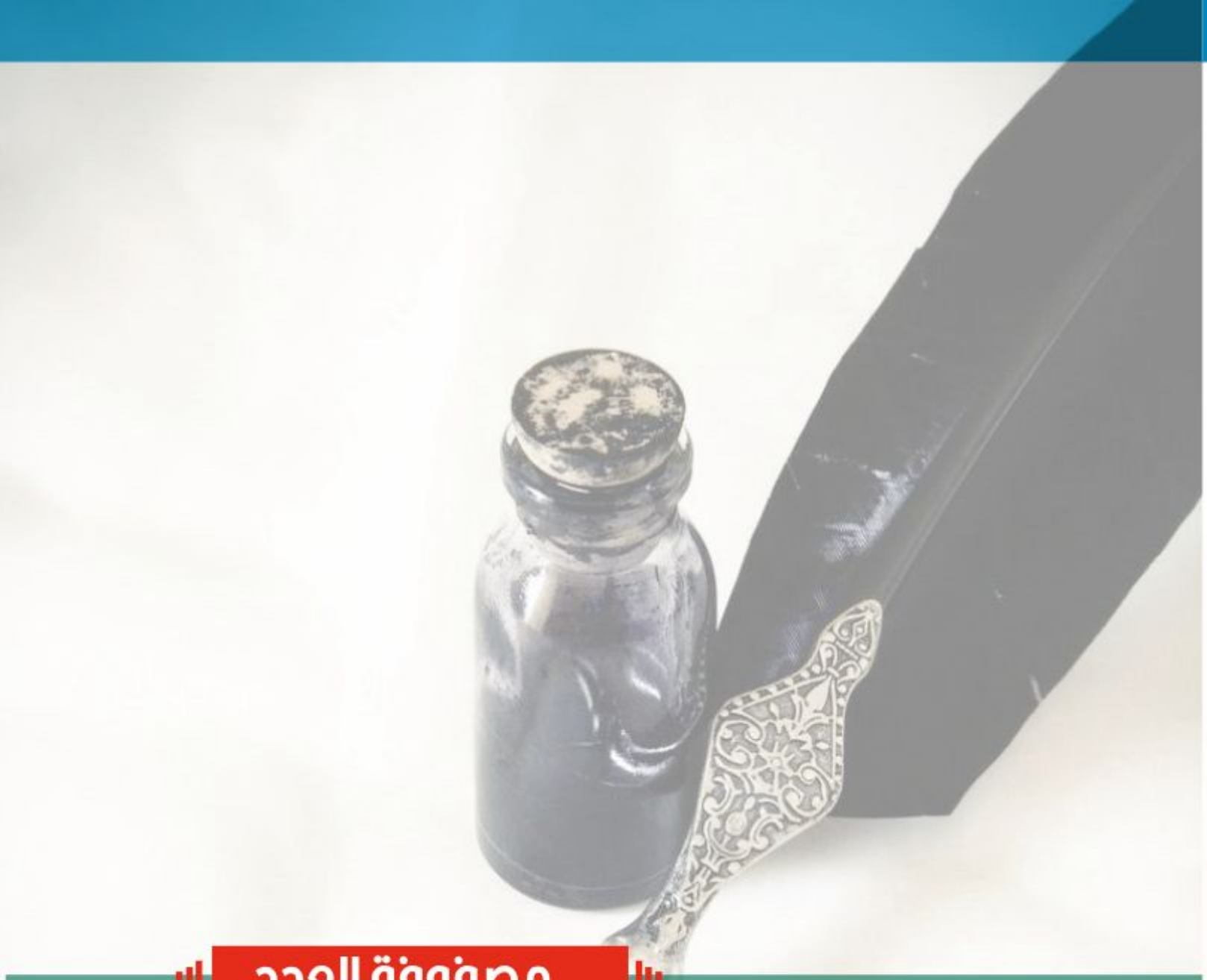

## مصفوفة العدد


الزَّرقاء: المكانُ الذي شحذَ أقلامَ الكتابة.. كُتّابَ شباب، وأوراقَ ملأى بذاكرةِ المكان — إعداد: ميمونة الشيشاني

الصَّرخةُ الأولى... ولادةٌ وكتابة — ميمونة الشيشاني

في الزَّرقاء... السّرُّ هنا! — د. محمد عبد الكريم الزيود

المكانُ حينَ يكتبُنا — ريم العفيف

المكانُ وحضورُهُ بينَ الشّعرِ والحنين — قصي إدريس

شاهدةٌ على التّاريـــخ — قاسم الدراغمة

أماكنُ في الذّاكرة — نور أبو الروس

الزَّرقاء: المُعلّمةُ الحيّةُ للعيشِ والهُويّة — رنا حداد

# الزَّرقاء: المكانُ الذي شحذَ أقلامَ الكتابة..

## كُتّابٌ شباب، وأوراقٌ ملأى بذاكرةِ المكان

إعداد: ميمونة الشيشاني

حين لاحت الزَّرقاءُ للعابرين بها، مدَّتْ إليهم ظلالَها، وملأت أكوازَ الفخّار بمياه نهرها العظيم، الذي يشقّ مجراه في صدرها.

حادثتهم بلغة الحُبّ التي لم تعرف سواها، فكانت أقربَ ما تكون إلى لغة العصافير التي استوطن بعضها أشجار الحور والأثل المتاخمة لضفاف النهر، وحطّ بعضُها الآخرُ في غابات البلوط على سفوح تلالها، أمّا أزهار الدّفلى الورديّة، فتفتّحت مرحّبةً بالقادمين، وفاح عطر أجراس الزنبق، وامتلأ الوادي تهليلًا بالوافدين.

رسم المسافرون الزَّرقاء جنةً في كتب الأسفار، وكتبوها قصيدةً أبديّةً في مجلّدات الأمصار، ولأنّها رقعة معطاء، بدءًا بنهرها الفيّاض، وبأرضها الخصبة، وبتاريخها الذي يقف على شرفات قصورها القديمة، استقطبت المهاجرين من شتّى بقاع المعمورة، صافحوا أهل بواديها، وشيّدوا قراها الفاتنة، كما لاذ النازحون بمخيّماتها الآمنة، حتى ظهرت في وجهها ملامح الحضارة، وسُمّيت مدينتها بمدينة الجند والعسكر، وبمدينة العمّال، إذ تجلّى إنسانها في أبهى صور الحرْفيّة، والمحبّة، والجوار، والانسجام، وبمرور الوقت تحوّلت من طبيعة خلّابة خالية إلى لوحة فسيفسائيّة، يكمن جمالها في تنوّع ثقافات سكّانها.

كُلّ هذا التنوّع المكانيّ والسكنيّ، والثراء الثقافيّ، كان بيئة خصبة للإبداع الفنّيّ والأدبيّ؛ فالذاكرة البدويّة والفلّاحيّة تتقاطع مع ذاكرة النازح الفلسطينيّ، ومع ذاكرة المهاجر الشيشانيّ والشركسيّ، ومع حكايات الشوام، والأكراد، والجاليات العربيّة الأخرى.

تعلّمت الزَّرقاء لغات أخرى، فغدا المكانُ بطلَ الروايات والحكايات، ومُلهِمَ الأدباء، ومصدرًا لإبداعهم.

وهكذا أصبح عنصرًا مهمًّا في ثقافة الكاتب الزرقاويّ، يظهر في إبداعه، وتتجلّى آثاره في الشّعر، والقصّة، والرواية، والمسرح، والنصّ النثريّ، ويسهم في إبراز الهُويّة بمختلف مستوياتها: الفرديّة، والعائليّة، والوطنيّة.

في هذا العدد من مجلة (صوت الجيل)، نستكتب عددًا من الكُتّاب الشّباب في محافظة الزَّرقاء حول أثر المكان في كتاباتهم، وقد أجابوا عن عدّة محاور طُرحَت عليهم، منها: أثر مكان ولادة الكاتب وطفولته في وجدانه، وكيف ترجم ذلك في كتاباته، وأثر حاضر المكان وتاريخه في إبداعه، وأخيرًا إيمانه بالمكان كعنصر حيّ، وكيف استطاع تجسيده في أعماله الأدبيّة.

# الصَّرخةُ الأولى... ولادةٌ وكتابة

ميمونة الشيشاني

مدينة الزَّرقاء كانت مكانًا احتضن صرختي الأولى الوليدة، زمَلَتْ خوفي، ودفّأت بردي، وأطعمت جوعي، فقد وُلدتُ في مدينة كبيرة صاخبة، كثيرة العمران، متراصّة البنيان، مكتظّة بالسكّان، يتسلّل إليها نور الشمس عبر المساحات الضيّقة، فتتقاذفه النوافذ العالية، وتجعل ضياءه يتغلغل حتى أخمص قدميها.

أمّا ليلها فيدفع بسكينة دجاه، ويسقي القمرُ سماءها لُجينًا يُعلّق في أزقتها قناديلَه إلى السَّحر، وتنفض السحب عليها تراتيل حبّ مُبلّلة بالمطر، فيغسل طرقاتها الضحلة، ويجري نهرها كسابق عهده بين بساتينها الغنّاء، مُلقيًا على ضفافه تعاويذه العذبة، فتحمل الأفنان ثمارها، وتمتلئ السنابل بقمحها، والحقول بخضارها، ففاض قلمي بسحر لا يجيد نقله إلى الأوراق سوى من خرج من بذرة أرضها شجرةً يتشبّث جذعها بجذورها العميقة، وتتنفّس أوراقها سماءها العالية.

وفي إحدى حاراتها القريبة من قلب المدينة نشأتُ، كانت مسرحي الذي على خشبته خطوتُ أولى خطواتي، ونطقتُ أول كلماتي، بدأتُ أناغي الطّيرَ الذي لمحتُ ظلّ جناحيه في حوش بيتنا الصغير، فكتبته جسدًا يشقّ السماء حريّةً، وصوتًا يملأ صخب المدينة تغريدًا.

وحاورتُ القطّة التي تسلّقت أسوار البيت، فسجّلت حديثها حبرًا يشقّ عُباب رواية، وبنيت للصداقة بنيانًا مرصوصًا بالحبّ، أدخلتُ فيه كلّ الألوان، وعلّقت فيه تمائم القصائد، وفرشته بالحكايا والقصص الشعبيّة.

ورسمتُ بطبشور طفولتي سماءً على الأرض؛ لأنّ في مدينتي يغيب قرص المستحيل وراء معالمها الفاتنة، تُسمعني هسيسًا يصرخ في وجداني، يقول لي: إنّ (أليس) ليستْ أفضلَ منّي، وبلاد عجائبها الغائبة حاضرة في مدينتي، وإنّني أستطيع أن أمدّ جناحيَّ في الأرض، وأحلّق بهما كما في السماء! فانتهى بي الهسيس إلى بناء قصص من واقع مُتخيَّل، وخيال من واقع أعيش تفاصيله.

في هذا المكان الممتدّ إلى آخر نورٍ للشمس، تلقّيتُ دروس العشق للأرض، إذ إنّني أصافح وجوه الجنود كلّ صباح، وأرى تلألؤَ الندى في جباههم، ولُجينَ القمر في ثكناتهم العسكريّة. شُبّاك غرفتي الصفيّة شرع ينقل إليّ شجاعة فيالقهم، وأنفة كتائبهم، عبر وقع أصوات تدريباتهم الجماعيّة المُكثّفة، يرافقهم قرع الطبول وصلصلة الأسلحة.

فأصبح ترابها مقطعًا من أغنية كتبتُها في حبّ الوطن، وحجارتها فراشًا وثيرًا لجسدي المُنهَك، ورحتُ أبني باطمئنان يوميّ، وأرفع بأمان أعمدة غدي، المليء بأحاديث أبنائي وصدى أحفادي، وكتبتُ في الأوطان عشقًا حتّى اخضرّت رفوف مكتبتي الجرداء.

وفي الرقعة الجغرافيّة لمدينتي الزَّرقاء تنوّعٌ ثقافيٌّ لافت، علّمني كيف يكون الاختلاف تكاملا، والجزء كلًّا، ورأيت الهُويّة الفرديّة تنصهر في بوتقة الجماعة، وتتحوّل، على الرغم من حفظها لكينونتها، إلى ذاكرة نحتفل بها كلّ فرح، فرحتُ أكتب بقلم يتحدّث الكثير من اللغات واللهجات،

ويرتدي أزياءً فلكلوريّة متنوّعة، ويغنّي ويرقص مرّة في لوزر (حلبة الرقص) شيشانيّ وشركسيّ، ومرّة في دبكة أردنيّة فلّاحيّة وبدويّة، ومرّة في دبكة فلسطينيّة، وأخرى كرديّة، وأيضًا في عراضة شاميّة.

رأيت من خلال المكان تاريخ نشوء المدينة؛ فمن منطقة خالية إلّا من خرائب قصر شبيب ومحطّة قطار، إلى أنموذج حيّ يمثّل الأردن بكلّ أطيافه.

لقد استنطق قلمي سكّة القطار وحجارة المحطّة، واستطاع أن يرى المهاجرين من بقاع سحيقة يتقاطرون إلى أرضها، ويألف الوافدين من أماكن مختلفة وهم ينزلون حيث مياهها، يبنون مساكنهم، ويزرعون أحواضهم، ويحصدون تعبهم، ويتسامرون على رصيف واحد، ومقهى واحد، وضفّة واحدة.

فتلوّن قلمي بألوان محبّتهم، وتوهّجت سطوري، وعمّت المحابر ثقافات متباينة أعطت للمكان روحًا لا تنطفئ، وشبابًا لا يمسّه عجز أو خرف، فكان المكانُ إلهامًا لقلمي، فكتب القصة على شكل رواية (دمعة ذئب)، ورواية (كزهر اللي).

وفي الحيّ الذي ترعرعتُ فيه كان وطنًا عربيًّا متّحدًا، فأبو محمد فلسطينيّ، وأبو مروان مصريّ، وأبو عبود شاميّ، وأبو عزيز جزائريّ، وأمّ سلوى سعوديّة، وأبو نوال كويتيّ، وأمّ سلمى عراقيّة.

جمعتُ أقلامي في حزمة واحدة، وكتبتُ بها على سعف النخل كلمة «أنا عربيّ»، وأرسلتُ بالبريد الزاجل سعفة إلى الأمصار أذكّرهم بقوتهم إن اتّحدوا، وبعزّتهم إن تكاتفوا.

في مدينتي يتردّد في أذني أذانٌ يصدح من مآذن مساجدها القديمة، فيلامس طهره قلبي، وبأذني الأخرى أسمع أجراس كنائسها العتيقة، فتتلاصق قداستها بفؤادي، فيلتفّ قلبي حول منابر المساجد وأبراج الكنائس، وتتفلّق روحي من جسدي، تخشع، ويخشع حرفي في محراب كلماتي، فلا يخرج من صومعته إلّا وقد توضّأ مدادًا نديًّا طاهر المعنى، مخضّب الأثر.

في هذه البقعة المكانيّة استطعتُ أن أفهم تحوّلات المادة من خلال مصانعها المترامية، رأيت السمسم يُسحَقُ ليخرج زيته، والقمح يُطحَن ليصبح دقيقًا، والقماش يُنسَج ويُفصّل ليكون رداءً، والبترول تُفصَل جزيئاته ليصبّ في خزّانات الوقود والغاز، ومحطّات الحرارة تحوّل طاقة الوقود إلى طاقة كهربائيّة تضيء النهارات والمساءات على حدّ سواء. فأدركت سطوري بأنّها مادة خام قد تتحوّل في لحظة إلى فيلم وثائقيّ أو فيلم سينمائيّ، ففي مدينتي عصًا سحريّة قادرة على صنع المستحيل.

لكنّ ما يحزنني أنّني أقرأ تعبها، وأستنشق لهاثها، وأسمع أنينها وشكواها، فقد شوّهها أبناؤها بغير قصد، اعتدوا على بساتينها، وجفّفوا دماء نهرها، ولُطّخت سماؤها بدخان المصانع والمركبات باسم التحضّر، فصرخت كلماتي، وسال دمعها على جسد الصحائف والمجلات تستنجد لإنقاذ حياتها التي وهبتنا إياها ذات عمر غضّ.

المكان الذي نشأتُ فيه لم يكن خلفيّةً صامتةً في مشاهدي المكتوبة، بل كان البطل الخالد في كلّ رواياتي، المشارك الأول في تشكيل المعنى، البطل الذي علّم حرفي أبجديّات المشاعر، لغة الحنين، لهجة الحبّ، ضحكة الفرح، لهيب الدمع، شهقة الحزن، وحرقة الاشتياق، علّم لغتي الصمود في زمن التقهقر، والثبات حين يلوح الشتات.

المكان لم يكن جثّةً ميتةً في نصوصي، بل هو شخصيّة حيّة، نفخ الروح في باقي الشخصيّات، أعطاها من وحيه، وشكّل طباعها، وجعلها تتحرّك وفق منظورها للحياة من خلاله.

المكان ليس ديكورًا مبتذلًا أو هامشًا في كتاباتي، فهو الذي يُحرّك أحداثها، ويخلق بينها تباينًا مبنيًّا على تباين الظروف المحيطة بالمكان نفسه، فهو جزء هامّ من المعادلة الأدبيّة إن لم يكن كلّها، وأيّ عمل يخلو منه محكوم عليه بالفشل؛ لبعده عن الواقعيّة والتجربة الحياتيّة.

المكان هو بوتقة التجربة الإنسانيّة، عنصر من عناصر جمال البناء الأدبيّ الذي يسهم في إقناع القارئ بواقعيّة العمل على اختلاف جنسه.

# في الزَّرقاء... السِّرُّ هنا!

د. محمد عبد الكريم الزيود

العودة إلى النبع الأوّل، كيف تحافظ على قلبك الأبيض والعمر يمرُّ كالغيم؟ هناك في البيوت التي تناثرت على كتف وادي إسعيدة (الهاشمية)، رأت عيناك النور، ثمّة مكان لا يغادرك، وثمّة أصوات ما زالت تسكنك، صوت مُحرّكات المصفاة وهي تفزع العصافير من أعشاشها، وصوت صفير القطار وهو يلتهم السّكّة وينفث الدخان في السماء، يعبر الجسر حتى تبتلعه التلال، وصوت سيارات (الروفر) وهي تتسلّق الطريق متعبة نحو الزَّرقاء المدينة، ثم تسقط خلف الأفق، وتلك النار المشتعلة من رأس المنارة تظلّ تتوهّج وتضيء دروب الرعاة على ما تبقّى من أغنامهم.

يضعني أبي في حضنه الواسع، وأركب في سيارة (الروفر) من أمام دكّان (الأستاذ فهمي) بالقرب من شارع (الحمراء) في الزَّرقاء، قاصدين قرية (المسرة) جارة (العالوك)، يصعد معنا جنديٌّ عائدٌ يحمل أكياس الورق وقد مُلئت فواكه وحاجيّات، وآخر يلفّ وجهه بلثام الشماغ يحمل شوال طحين و«جركن» سولار، بينما رفض السائق أن يركب أحدهم وهو يحتضن خروفه!

في الطريق إلى مغاريب الزَّرقاء، تبقى عيناي معلّقتين في الطريق من طرف شادر السيّارة، تغادر البيوت والطرق المزدحمة بالدكاكين، إلى تلال تسرح فيها الغنم والمعز، وسماء كما هي تطير فيها العصافير دونما أسلاك كهرباء تعيق طيرانها نحو الغيم، تنزل نحو (بيرين) و(أم البيار)، وقد أخذت أسماءها من آبار المياه مصدر الحياة في القرى العطشى.

إنّها (بيرين) بوّابة عمّان وحارستها، نحو (أم العروق) و(شفا بدران)، ثم يبدأ شجر البلوط يرافقك في الطريق، يكبر ويكبر حتى يصبح غابةً، ثم تقف على مُفترَق طرق، إمّا تصعد شرقًا نحو (صروت)، حيث تُطلّ بعدها على سيل الزَّرقاء، وإمّا تنعطف غربًا إلى (الكمشة) و(المكمان)، حتى تشرف على جبال البلقاء، وإمّا تواصل المسير نحو (المسرة) و(العالوك).

ثمّة طرق بقيت في ذاكرتي، تشبه عروق اليد، كانت وما زالت تحمل العابرين وهم يبحثون عن رزقهم، أو يسألون حكيمًا لوجع سكنهم، مشَوْا على أقدامهم وقد أكلها الشوكُ والشمس، أو ربما رافقوا حمارًا على ظهره حطب أو حليب. كلّ الذين ساروا من هنا تركوا جزءًا منهم عليها، وبقيت ذاكرتهم عامرةً بالتفاصيل والتعب وبقية وجوه الأحبّة الذين لوّحوا لهم عند الوداع.

في قرية (المسرة)، حيث يصدح صوت مؤذّن الجامع عند كلّ صلاة، هناك تُطلّ مئذنته على القرية القديمة، بيوت من حجر، لم يتبقَّ منها إلّا بعض حيطانها التي عششت العصافير والعناكب عليها، وقد تهدّمت بعض غرفها وعقود سقوفها

• محطة قطارات الزرقاء

العالية، وأصبحت أثرًا بعد عين، بُنيت على أنقاض بيوت رومانيّة، فيها معاصر زيتون ونبيذ بيزنطيّة، حتى أرضيّات الفسيفساء أصابها العبث، ونبشها باحثو الذهب.

حمل الناس من بقايا الزيتون الروماتيّ، وزرعوا الكروم والموارس زيتونًا، ربما كان هذا هو الذهب الحقيقيّ الذي لا ينتهي ولا يغيب.

في حيّ (الغويرية) أقدم أحياء الزَّرقاء المدينة، بناه جنود الجيش العربيّ حين أنشئت المعسكراتُ على طرف المدينة الشرقيّ، وجاورت سكّة الحديد الحجازيّة، أحضروا عوائلهم وسكنوا هنا. في (الغويرية) تتجاور البيوت بعضها بجانب بعض، وتفتح النوافذ على النوافذ، وتُطلّ على طرقها الترابيّة، تزداد لزوجتها طينًا في الشتاء، وغبارًا في الصيف.

كانت أمّي ترشّ البرندة بالماء، حتى تخفّف حرّ الصيف، وقد زرعت الحوض بورق الخُبيزة، وطالت من فوق حوش الدار لتُخفي البرندة والجالسين فيها، ووزّعت قوارير الريحان على أكتاف الشّبابيك.

هنا جيراننا من أهل الأغوار وقرى إربد وأبناء بني حسن وأهل الجبل، وترى عربات تجرّها الخيل، ودكاكين وعطارة، وحسبة الخضار، وذاك تاجر من غزّة أتى هنا ذات حرب أبعدته قسرًا عنها. وشكّل هذا الحيّ لوحةً من الإنسان والمكان بلونٍ مختلف، فسيفساء يجمعهم حبّ بلادنا.

كيف تُغادرُ تلك الأماكنُ وتلك الأصواتُ رأسَ طفلٍ ما زال ينظر لعالم القرية البكر بالدهشة الأولى؟ هي ليست تضاريس يشرحها المعلّم في حصة الجغرافيا، إنّما تفاصيل مجبولة بعرق الناس وتعبهم، وبقيت عالقة في الذاكرة مثل طين البيوت الأولى.

ظلّت هذه الأماكنُ مسكونةً في ذاكرتي، ولم تغادرني، ووجدت متّسعًا لأكتبها حين بدأتُ أكتب قصصي ورواياتي، وظلّ المكانُ في نصوصي كائنًا حيًّا يتنفّس، ولم يبقَ مسرحًا للأحداث، مجرّد ديكور وخلفيّة بلا إحساس؛ لأنّ المكان يحمل ذاكرة الناس والقمح، ويختزل في تفاصيله أهازيج النساء وفروسيّة الرجال، وهم يُبحرون في الحياة وقسوتها.

وبالتالي خرجت كلّ شخصيّات رواياتي من تلك السفوح والقرى والمروج، جاءت (فاطمة) لتكون راوية المكان لقرى سيل الزَّرقاء وما حولها، وأكمل (قاسم الصالح) شهادته حين روى كيف تبدّلت قريته (إسعيدة)، وغابت حين طحنتها المدنية الجديدة.

إنّ الأدب ليس بديلًا عن التاريخ، إنّما يسهم في توثيق حكايات الناس وقد التصقت بالأماكن، ومنحتها الحياة، وكما قال الشاعر رسول حمزاتوف: «القرية.. عالمي»؛ لأنّ تفاصيل المكان لا تتشابه، ولأنّ المكان يختزل مكنونات الهُويّة، وفيه الأسرار الأولى نابعة من قداسة لا تُمَسّ، وفيه عطر لا يعرفه إلّا من كان عاشقًا، وفيه بوصلة معلّقة بالقلب، يظلّ الإنسان يأتيه الحنين إليه حتى يغيب في ترابه، لذلك ستظلّ الزَّرقاء وقراها مسكونةً بالسِّرّ البهيّ الذي لم يكتبه أحدٌ بعد!

# المكانُ حينَ يكتبُنا

ريم العفيف

حينَ يسألُ الإنسانُ: من أينَ أنت؟ يُجيب، في الغالب، بعفويّة مشيرًا إلى مسقط رأسه، حتّى لو لم يعش فيه طويلًا. هذه الإجابة التلقائيّة لا تأتي من فراغ، بل تكشف عن رابطة خفيّة وعميقة بين الإنسان والمكان الأوّل الذي احتضن بداياته، ففي لحظة اللاوعي يستدعي المرء جذوره الأولى قبل أن يستعرض محطّات حياته اللاحقة، وكأنَّ المكان الأوّل يختصر سيرة كاملة من الوجود.

إنّه لا يغيب، بل يظلّ حاضرًا في الوجدان؛ بوصفه جزءًا من الموروث العاطفيّ والإنسانيّ، تصوغه الذاكرة عبر حكايات الآباء والأجداد، وتفاصيل الطفولة الأولى، وروائح البيوت القديمة، وأصوات الأزقّة التي لا تنطفئ.

وُلدتُ في مدينة جرش، بالقرب من مدينتها الأثريّة، حيث يتجاور التاريخ مع تفاصيل الحياة اليوميّة في مشهد فريد، وحيث تتشكّل الذاكرة الأولى على وقع الحجارة العتيقة والشواهد الحضاريّة، هناك بدأ وعيي بالمكان، لا بوصفه جغرافيا فحسب، بل بوصفه كيانًا حيًّا يتنفّس الحكايات.

كانت الأعمدة الرومانيّة، والساحات الواسعة، والممرّات الحجريّة، تُشكّل خلفيّةً دائمةً لطفولتي، وتمنحني إحساسًا مبكّرًا بأنّني أنتمي إلى زمنين في آنٍ واحد: زمن الحاضر الذي أعيشه، وزمن الماضي الذي يهمس في التفاصيل من حولي. وما تزال صورة جرش راسخةً في وجداني حتى اليوم، تُستدعى كلّما حاولت فهم علاقتي الأولى بالعالم.

لكنَّ انتقالي لاحقًا للإقامة في مدينة الزّرقاء، مدينة الجند والطيف السكّانيّ البديع، شكّل منعطفًا حاسمًا في تجربتي الحياتيّة والإبداعيّة، فالزّرقاء، بما تحمله من تنوّع إنسانيّ وثقافيّ، فتحت أمامي أفقًا مختلفًا لفهم المجتمع والإنسان.

هناك تتجاور أطياف متعدّدة من الشركس والشيشان والدروز، وأبناء العشائر وسكّان المُخيّمات، في فسيفساء اجتماعيّة غنيّة بالحكايات والتجارب، هذا التعدّد لم يكن مُجرّد تنوّع سكّانيّ، بل كان مصدرًا ثريًّا للقصص، ومجالًا واسعًا للتأمّل في طبيعة العلاقات الإنسانيّة، وفي كيفيّة تشكّل الهُويّة داخل بيئة متعدّدة المشارب.

وقد أسهم هذا التنوع، إلى جانب اطّلاعي المُبكّر على تجارب نقديّة وسرديّة، في بلورة وعيي بالكتابة، لم تكن الكتابة بالنسبة لي فعلًا طارئًا، بل جاءت نتيجة تراكم من القراءات واللقاءات والتجارب.

تأثّرتُ بتجارب عدد من النقّاد والمبدعين الذين تركوا أثرًا واضحًا في مسيرتي، من بينهم الأديب محمد المشايخ، الذي يُعَدّ حارسًا للثقافة بوعيه وانشغاله المعرفيّ، والناقد السينمائيّ ناجح حسن، الذي يشكّل موسوعة أردنيّة في مجال النقد السينمائيّ، إضافة إلى القاصّ الدكتور عيسى حداد، والكاتبة حنان بيروتي، إلى جانب عدد من الروائيّين والأدباء الذين أسهموا، كلّ واحد بطريقته، في تشكيل ملامح الحسّ السرديّ لديّ، وتعميق رؤيتي للكتابة بوصفها فعلًا إنسانيًّا يتجاوز حدود اللغة. وتُعَدّ الزّرقاءُ واحدةً من أبرز المدن الأردنيّة التي أسهمت في رفد المشهد الثقافيّ، إذ أنجبت واحتضنت أسماء أدبيّة بارزة في مجالات القصة والرواية والشعر، ففي مجال السرد يبرز اسم عدي مدانات، وفي الشعر والرواية تتألّق أسماء مثل أمجد ناصر وتيسير السبول، كما حضرت المدينة في وجدان شعراء كبار، مثل مصطفى وهبي التل (عرار)، الذي ظلّ شعره يستحضر وادي الزّرقاء، وحبيب الزيودي، وسميح القاسم، الذين حملوا في نصوصهم ملامح المكان وروحه، فبدا المكان، رغم غياب الشاعر، كأنّه يحتفظ بأثره، ويُعيد إنتاج حضوره، وهذا يؤكّد أنّ المكان ليس مُجرّد جغرافيا صامتة، بل ذاكرة حيّة.

ولم تغب الزّرقاء عن السرد الأردنيّ، إذ تناولها عدد من الأدباء، مثل ناصر الريماوي، وسعادة أبو عراق في مجموعته (زرقاء بلا ذنوب)، ومحمود الزيودي في عمله (قرية بلا سقوف)، الذي يوثّق لذاكرة المكان وتحوّلاته، ويُجسّد فكرة الغياب بوصفه حضورًا من نوع آخر.

وإلى جانب حضورها الأدبيّ، عُرفَت الزّرقاء بنشاطها الثقافيّ الحيويّ، حيث تضمّ أربعًا وأربعين هيئةً ثقافيّةً أسهمت في تنشيط الحياة الثقافيّة، مثل نادي أسرة القلم الثقافيّ، ورابطة الكُتّاب الأردنيّين/ فرع الزّرقاء، ومنتدى الزّرقاء للثقافة والفنون، ومنتدى الرصيفة، وفرع مؤسسة شومان، فضلًا عن الصالونات الأدبيّة.

كما كانت دور السينما القديمة، مثل سينما الحمراء وركس وسلوى، جزءًا من ذاكرة المدينة، وفضاءً ثقافيًّا ساهم في تشكيل الوعي الفنّيّ.

أمّا على المستوى الشخصيّ، فقد كان لعملي مندوبةً لصحيفة (الرأي) في تغطية المشهد الثقافيّ، أثر بالغ في تشكل تجربتي الإبداعيّة، لم تكن التغطيات الصحفيّة مُجرّد مهمة مِهْنيّة، بل تحوّلت إلى تجربة إنسانيّة ومعرفيّة عميقة، أتاحت لي الاقتراب من القامات الثقافيّة، والحوار معها، والتعرّف على تجاربها عن قرب.

هذا الاحتكاك المباشر أغنى رؤيتي، ووسّع مداركي، وأسهم في صقل موهبتي، وأشعل شرارة الكتابة الأولى التي تجسّدت لاحقًا في مجموعتي القصصيّة (مدينة ترنو إلى الشمس). وقد حضرت الزّرقاء في هذه المجموعة بوصفها أكثر من مكان، حضرت كذاكرة جمعيّة، وكفضاء إنسانيّ نابض بالحياة، تتجلّى ملامحه في تفاصيل الشخصيّات، وفي الحكايات الشعبيّة، وفي وصف البيوت والأحياء.

ولم يكن حضور المكان في تجربتي مُجرّد استحضار جغرافيّ، بل كان تعبيرًا عن علاقة عميقة بين الإنسان وبيئته، وقد أدركت ذلك أكثر من خلال تجربتي في العمل الثقافيّ، ومشاركتي في الندوات والفعاليّات، حيث كنت أتناول دور الزّرقاء الوطنيّ والثقافيّ، وعلاقتها بالهُويّة الأردنيّة، وإسهامها في رفد الجيش العربيّ.

من هنا، أؤمن أنّ المكان في النصّ الأدبيّ ليس إطارًا محايدًا، بل هو كيان حيّ يحمل في داخله رمزيّة عميقة، ويختزن تاريخ الإنسان وتجربته، فالكتابة عن المكان هي كتابة عن الذاكرة، وعن الإنسان، وعن الحكايات التي تشكّل الوعي الجمعيّ، وهي أيضًا محاولة لفهم العلاقة المركّبة بين الذات والبيئة، بين ما هو داخليّ وما هو خارجيّ.

وعليه، يظلّ المكان مفتاحًا أساسيًّا لفهم ثقافات الشعوب، إذ تختزن كلّ مدينة أو قرية ذاكرة غنيّة بالحكايات والتجارب، وأيّ تحول جذريّ فيها قد يعني فقدان جزء من هذه الذاكرة الإنسانيّة، فالمكان ليس مُجرّد إطار للحياة، بل هو أحد عناصر تشكّلها، ومرآة تعكس تحوّلات الإنسان عبر الزمن.

في النهاية، يبقى المكانُ مصدرَ إلهام دائم للكاتب، ومرآة يرى من خلالها ذاته والعالم من حوله، فحين نكتب عن المكان، فإنّنا في الحقيقة نكتب عن الإنسان، وعن الذاكرة، وعن الحكايات، وعن وطن يسكننا بقدر ما نسكن فيه.

# المكانُ وحضورُهُ بينَ الشِّعرِ والحنين

قصي إدريس

يُعَدّ المكان من الأشياء التي تأخذ حيّزًا نفسيًّا بارزًا، وبُعدًا كبيرًا عند الكُتّاب عامة، والشعراء على وجه الخصوص؛ لما للشعراء من قدرة عالية على الإحساس بالمكان.

ولقد مَنَّ الله عليَّ بأن وهبني الشعر؛ لأعبّرَ به عن مكنونات دواخلي، وأحلّق به في دنيا الخيال، وأجعله أداةً تُدلّل على الواقع، وتطرح موضوعاته ومشكلاته بكلّ حرفيّة واقتدار، وليجسّد الذاكرة التي تمثّل وتخلّد الأمكنة التي ترتبط عند الشاعر بالكثير من الذكريات، كيف لا؟ والشاعر هو الكائن الذي جعل من الأمكنة محطّات ينطلق منها نحو عوالمه منذ الجاهليّة، عابرًا كلّ العصور حتى وقتنا الحاضر.

فمنذ الطفولة الأولى التي تترك أثرها الواضح في نفس الشاعر وفي تكوينه اللغويّ، فالشاعر كائن حسّاس يتأثّر، كفيلم الكاميرا الحسّاس، بكلّ ما حوله. وُلِدَ معي الشعر في البيت الأوّل في الزَّرقاء، حيث نشأتُ وترعرعتُ، ودرستُ في مدارسها وجامعتها، جامعة الزَّرقاء، حيث حصلتُ على بكالوريوس في الهندسة المدنيّة.

وكم استفدتُ على يد أساتذتها من أساتذة اللغة العربيّة، بالتوجيه والتدقيق، والعمل على الشعر، وصقل الموهبة، فصرتُ أنظر إليه -البيت الأوّل- باعتباره الموطن الأوّل لنشأة الشعر، وموضع الإلهام الذي سيظلّ يرافقني حتى آخر القصائد التي أكتبها، كأنّه صدق في قول أبي تمام:

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى
وحنينُهُ أبدًا لأوّلِ منزلِ

تبدأ قصّتي مع المكان في الزَّرقاء، عندما تعرّفتُ في بداية مسيرتي الأدبيّة، على البيت الأدبيّ للثقافة والفنون، الذي يديره مؤسّسُه الأديب أحمد أبو حليوة، وصالونه الشهريّ، من خلال أحد الأصدقاء في الجامعة، ومنه انطلقتُ إلى بقية الأندية الثقافيّة، وعلى رأسها نادي أسرة القلم الثقافيّ، وصالون الرصيفة الثقافيّ، الذي تعرّفتُ فيه على عدد من الشعراء والأصدقاء، منهم: يوسف العلي، ومحمد أكرم السالم، ورأفت سفيان، ومحمد كنعان، ومحمد نور الغرايبة، وقاسم الدراغمة، وكثير من الأدباء الشُباب والكبار.

لقد كان للزرقاء أثر كبير في صقل مواهبنا الشعريّة، وتقديم كلّ الدعم لنا؛ كي نكون بناة الثقافة في الزّرقاء مستقبلًا. وقد كنّا نجتمع في كلّ شهر أربع مرّات في ثلاثة صالونات ثقافيّة مختلفة، بدءًا من البيت الأدبيّ للثقافة والفنون، ومرورًا بنادي أسرة القلم الثقافيّ، وانتهاءً بصالون الرصيفة الثقافيّ.

ثم تعرّفتُ على الأستاذ الكبير المرحوم زياد عودة، رئيس رابطة الكُتّاب الأردنيّين في الزّرقاء، إذ إنّه كان أوّل من نبّهني إلى ضرورة قراءة مجلة (العربيّ) الكويتيّة، وهو صاحب المكتبة الثقافيّة التي كانت مَعلمًا ثقافيًّا ومحطّة مهمّة في الزّرقاء. وداومتُ منذ يومها على الحضور والمشاركة في رابطة الكُتّاب الأردنيّين في الزّرقاء.

وقد حصلت على لقب (شاعر الزّرقاء) من نادي أسرة القلم الثقافيّ عام 2012م، بعد الفوز في المسابقة التي أقامها النادي، حيث كانت هذه الخطوة هي الدافع الأكبر لي في الكتابة الشعريّة، والكتابة عن الزّرقاء خصوصًا. ثم كان أن حصلتُ على المركز الأول في مسابقة مهرجان الزّرقاء الثقافيّ عام 2015م؛ ليكون ذلك الرافد الكبير والمنهل الأوّل الذي دفعني للاستمرار في الإبداع والاجتهاد الأدبيّ.

وكان لنا في الزّرقاء شرف اللقاء بعدد من القامات الشعريّة والأدباء الكبار، مثل: محمد سمحان، وسميح الشريف، وصلاح أبو لاوي، ومحمد لافي، وأحمد أبو سليم، والشاعر العراقيّ الكبير عبد الرزاق عبد الواحد، كلّ ذلك دفعنا بقوة للكتابة عن جماليّات المكان الزرقاويّ، وكنّا ننطلق من أنّ الزّرقاء مدينة الجند والعمّال والعسكر.

وفي سبيل إرساء الوحدة الوطنيّة وقيم التسامح والتعايش، عشنا أجمل الأوقات في جوار إخوتنا في الإنسانيّة والوطن، وفي حضرة الولاء والانتماء لأردننا الحبيب، وكتبتُ للزرقاء في شعري، فقلتُ:

من وادي عبقر حتى آخر الدّمن
نقشتُ اسمَك يا زرقاءُ للعلن
علقت حبّك مع نجمٍ يليقُ به
أسرجتُ ضوءك في عتمٍ بلا حزن

وكم كنتُ حريصًا أنا وزملائي أن نُبرزَ المكانَ الزرقاويّ ببادیته وحضره، بقراه ومدنه وآثاره، فإنّ من يسكن جارًا لقصر شبيب، لا بدّ لنابض الشعر أن ينبض داخله؛ ليُحرّكه لكتابة قصائده، مخلّدًا المكان وروعته وطبيعته الهادئة الرائعة. وكنّا دومًا، وأينما حللنا، نفتخر بأنّنا ننتمي لمدينة الزّرقاء، ونؤكّد حمل اسمها إلى كافة المحافل الشعريّة والأدبيّة التي نرتقيها.

وكنتُ قد مثّلتُ الزّرقاء، جامعةً ومدينةً، في العديد من المهرجانات، كان أبرزها مهرجان بشاير جرش للمواهب الشابّة عام 2015م، ومهرجان فيلادلفيا للشّعراء الشّباب في أكثر من دورة، وأخيرًا مهرجان جرش الرسميّ من خلال المشاركة مع دارة الشّعراء عام 2024م.

كما أنّ حصولي على المركز الأوّل في مسابقة الأديب الراحل زياد عودة عام 2017م، حمل نَفَسًا زرقاويًّا يُذكّر بأوائل الأدباء في الأردن، الذين تخرّجوا ووُلدوا في الزّرقاء؛ ليُثروا الشعر والأدب، وليكونوا أسماء مهمّة في مجالاتهم.

وفي عمّان، كان الحضور الشعريّ الزرقاويّ لا يقلّ نشاطًا عن مدينته الأولى، فصالون البيت العربيّ، ودارة الشّعراء، وبيت الثقافة والفنون، تشهد على ذلك، وعلى القصائد التي صدحت في مدى عمّان، ونواديها، ومسارحها. هذا، والشّعر هو الذاكرة التي ستحفظ للأجيال القادمة تاريخنا، والأمكنة التي عشناها، وشهدت أجمل أوقاتنا، وأحزنها في أحيان أخرى.

الشعر والمكان خطّان متقاطعان لا متوازيان، بلغة الهندسة التي حصلتُ على شهادتها، والإنسان الشاعر هو القادر على أن يحيي القديم، ويكتب الحاضر تاريخًا يحفظ تقاليده للمستقبل. أمّا الآن، فأترك هذه المقالة لتنتهي، ولكنّ حنيني للأمكنة لن ينتهي، وسيظلّ حاضرًا بين جوانحي، وفي قصائدي.

# شاهدةٌ على التّاريـــخ

قاسم الدراغمة

المكانُ ليس خلفيّةً صامتةً، إنّما هو طيفٌ شاركني على سنوات تجربتي كشاعر، المكان -كما أعيشه- ليس جغرافيا فحسب، بل هو ذاكرة، وملامح، وأصوات، وتاريخ يصبّ في داخلي ليسيلَ في لغتي. لذلك، فإنّ حديثي عن الزّرقاء ليس وصفًا لمدينة، بل هو محاولة لفهم ذاتي التي تشكّلت فيها، وما تزال تعود إليها كلّما كتبت.

**النصّ الأقدم (شارع شامل-مقابلة كنيسة القدّيس «جيورجيوس» للروم الأرثوذوكس):**

أنظرُ إلى مكاني الأوّل، البيت، بوصفه النصّ الأقدم الذي قرأته دون أن أعرف أنّني أقرأ في ثقافتي التي سأعكسها في شعري مع امتداد الأيام، وعلى جدرانه سأكتب أولى جُملي، لم يكن البيت جدرانًا وسقفًا، بل كان شبكةً من العلاقات، حضورًا وغيابًا، وأصواتًا تكرّرت حتى غدت جزءًا من النسيج المترابط مع عاطفتي البسيطة قدر بساطة المكان.

أمّا الحيّ الأول، فكان امتدادًا طبيعيًّا لهذا البيت، هناك اتّسعت الدائرة، وتحوّل الخاصّ إلى مشترك، الشارع، المدرسة، الأصدقاء، الجيران. فشاعرٌ مثلي كبر وهو يرى الخالة (كوكب) تشتري الحلوى ليالي عيد الفطر والأضحى، ولا تنسى صلاتها في الكنيسة المجاورة للبيت، كأنّها تربّيني على حبّ الآخر، وتعلّمني أن لا فرقَ بين إنسان وإنسان، وأنّنا على هذه الرقعة السّمراء قلب واحد وجسد واحد، لقد علّمتني معنى السلام، فطُبِعَ ذلك في شعري، فلا يكاد يخرج عن كونه حمامة سلام على كثرة الغربان من حوله.

أمّا المدينة، فأتركها حتى تتحدّث عنها بساطة أهلها، الماثلة في قراها، وحاراتها وأحيائها ومخيّماتها، وآثارها التي شهدت على تاريخ حصين لم يغفل عنه المؤرّخون أبناء الزّرقاء، وغيرهم ممن احتضنت الزّرقاء -على بساطتها- أحلامهم.

## بصمات واضحة

إنّ للمدينة إيقاعًا يتسلّل إلى لغة الشّعراء فيها، الزّرقاء، ما بين البساطة الماثلة في أهلها، إلى ذاك الشموخ الذي جعل منها رمزًا تاريخيًا فرض نفسه على كلّ مَنْ مرّ بها، وإن أردتَ الحديثَ عن أثرها في ما نكتب، لا يسعني إلّا أن أذكر الشاعر الكبير الراحل حبيب الزيودي، رحمه الله، فالناظر في شعره يجد بساطةَ اللغة وجماليّةَ الرمز وعمقه، هذا ما عكسته فيه طبيعتها السهلة الواضحة، وآثارها الرمزيّة الكثيرة.

كذلك تجدها لدى الشاعر الراحل محمد لافي، والشاعر الراحل سميح الشريف رحمهما الله، اللذين أقاما في الزّرقاء طويلًا، فاختيرا ليبقيا شاهدين فيها. وأمثلة كثيرة لشعراء كبار جئنا متمّمين لمسيرتهم، رحلوا وبقيت تلك الطريقة التي زكّوا شعرهم عليها.

ولم يغب عن هذا شعراء كثر في الزّرقاء، فالشاعر محمد علي الفراية، والشاعر جميل صبيح، وغيرهما، إذا أمعن القارئ في دواوينهما، يجدهما امتدادًا فخريًا لمن جاء قبلهما، ولم يخرج عن ذلك الشعراءُ الشّباب، حاملو لواء الشّعر اليوم، فحملتْ كلماتُهم التي تربّت في أزقة الزّرقاء وحواريها، طابعَ البساطة والرمزيّة الشفيفة. في ما منحتني مفرداتي الخاصة، لا بمعناها اللغوي فقط، بل بمعناها الحيّ، فلكلّ شارع لغة أعيد تشكيلها، كأنّني أبحث عن صوتي داخل ضجيجه، ففي شعري تلك البساطة العالية، في ما أذكر أنّني قلت:

وكنتُ أقرأ أوراقًا مُحنّطة
ولا حياة بها مع بالغ الأسف

هذا مثالٌ أستوضح به تلك السلاسة الماثلة في قولي: «مع بالغ الأسف»، تلك الجملة التي تميل لعاميّة أهل الزّرقاء، والرمزيّة المُحقّقة في قولي: «أوراق مُحنّطة».

## شواهدُ على الشّعر

الزّرقاء منذ عام 1974م شهدت قيام نادي أسرة القلم الثقافيّ، وفي العام ذاته تأسّست رابطة الكُتّاب الأردنيّين، ما يعني أنّ النشاط الثقافيّ كان محطّ النظر منذ سبعينيّات القرن الماضي، وكانا تجربة ثقافيّة حقيقيّة لم تغفل عنها مديريّة الثقافة، فمرّ بهما كبار الشّعراء والقاصّين، والأدباء، والمثقّفين، ممّن حملوا على عاتقهم تصدير الثقافة لجيلنا على قدر عالٍ من المسؤوليّة.

تبع ذلك عددٌ لا يُستهان به من الأندية والدور الثقافيّة، توالت تباعًا لتستمرّ هذه المسيرة الزاخرة، وأذكر أنّي بدأت من جمعيّة نادي أسرة القلم الثقافيّ، حيث قرأتُ بكرَ قصائدي، وكان بجواري الشاعر الطبيب محمد نور الغرايبة، والشاعر مصعب حنيطي، والشاعر قصي إدريس، واستقبلنا بحفاوة عدد من الشّعراء والمثقّفين، منهم الشاعر أحمد أبو سليم، والشاعر صلاح أبو لاوي، والشاعر رضوان الزواهرة.

ثم حضرتُ أماسيَّ عدّة في مديريّة ثقافة الزّرقاء، ممّا جرّني بعد ذلك، الوصول إلى تجربة ثقافيّة مُميّزة، قام عليها واحد من أبرز مثقّفي الزّرقاء، القاصّ أحمد أبو حليوة، الذي جعل بيته بيتًا للمثقّفين، وأسماه «البيت الأدبيّ للثقافة والفنون».

وشهدتُ -في ما شهدتُ- شعراءَ برزوا من ذلك المنبر؛ ليصبحوا نجومًا لامعة في سماء شعر الأردن، مثل محمد كنعان، وقصي إدريس، ورأفت سفيان، وغيرهم ممّن جايلوهم. وعلى امتداد واحد وعشرين عامًا، لم يتوانَ أبو حليوة عن بذل وقته وماله في سبيل الصعود بالثقافة والمثقّفين، تاركًا تلك البصمة الواضحة.

ثم عادت رابطة الكُتّاب للتجلّي من جديد في الزّرقاء، ولم يكن الشاعر مأمون الحسن، والشاعر محمد السماعنة، والأديب محمد المشايخ، سوى امتداد لتاريخ الرابطة العريق، ولم يُعنَ ذلك بالشعراء فقط. إنّها الثقافة التي تمسح الغبار عن زجاجة التاريخ؛ ليُضيءَ المستقبلَ من خلالها.

• للفنان مصطفى الحلاج

الثقافةُ اليومَ في الزَّرقاء أثّرت بشكل واضح في شعرائها، فأكثرُ ما يجذب الانتباهَ وجودُ حالة شبابيّة ما دون الأربعين، تضع خطوطًا عريضةً وواضحةً في كتاب الشّعر، سيذكرهم تاريخها يومًا ما، وهذا أثّر على التصاعد الهائل في اللغة الشعريّة في ما بينهم، فالمنافسة تصنع المستحيل، وأقرب ما تكون مثل مارثون الجري، لا تركض فيه وحدك، وكلّما ضعف منافسوك، ملتَ إلى الهنة والضعف أكثر. لكون أنَّ الشعرَ في الزَّرقاء كان عاليًا، كان لا بدَّ أن أعلوَ، ولم أكن لأصبحَ ما أنا عليه، لولا القائمون على هذه المنارات الثقافيّة الشامخة.

## حَيٌّ ولكن...

قد لا تكون الحجارة في المباني ولا الأسفلت في الشوارع حَيًّا بمعناه البيولوجيّ، لكن ما يحمله من ثقافة ومعانٍ وجدانيّة يبعث فيه الحياة، وقد حضرتْ في شعري كثيرًا روحُ المكان وذاكرته العاطفيّة، فقلت:

أناخَ البعدُ قافلةَ القوافي
وفي الزَّرقاء سارَ بها وسارتْ
على حيِّ الرشيد وقد تجلّت
به لغةٌ من الوجدِ استنارتْ

قلبان ما افترقا سوى لمّا أزالوا المقعدَ الخشبيَّ من عمّان
فقُلْ لحبيبة سقطتْ خريفا
لقد كانت بك (إسطنبول) خضرا.

هذي أمثلةٌ توضّح أنّي لا أتعامل مع المكان بوصفه إطارًا، بل بوصفه حضورًا، الشارع ليس مُجرَّد طريق، بل هو شاهد، البيت ليس جدرانًا، بل هو حافظٌ للأسرار، والمدينة ليست مساحة، إنّما كائنٌ يراقب أبناءه بصمت، ويترك أثره فيهم.

هذا الإيمان يجعلني أكتب المكان كما لو أنّه يكتبني، أترك له مساحةً داخل النصّ ليتحرّك ويتكلّم ويؤثّر، فالشخصيّات لا تتشكّل وحدها، بل يُعيد المكان تشكيلها، يُغيّر مزاجها، ويحدّد خياراتها، وربما مصائرها.

## الخاتمة

علاقتي بالزَّرقاء ليست علاقة شاعر بمكانه فحسب، بل هي علاقة وجود بجذوره، منها بدأت الحكاية، وفيها تعقّدت، ومنها أعود كلّما حاولت أن أفهم نفسي، فأكتبها لا لأحفظها، بل لأفهمها، وأكتبها لأنّني، في كلّ مرة، أكتشف أنَّ المكان لا يسكن النصّ فقط، بل النصّ هو الذي يسكن المكان أيضًا، ويمنحه معنىً جديدًا.

# أماكنُ في الذّاكرة

نور أبو الروس

يحتلّ المكانُ مكانةً بارزةً في إبداع الكاتب، فهو مصدرُ إلهام له، يستمدّ منه صوره، ويشكّل نواة أفكاره، ويُعبّر عن مشاعره، لذلك ينعكس أثره ويتجلّى في نصوصه الأدبيّة والإبداعيّة، مهما تنوّعت هذه النصوص وتباينت.

وعندما نتحدّث عن المكان، فإنّني لا بدّ أن أتحدّث عن مدينة الزّرقاء، والعلاقة الروحيّة التي تربطني بها، فهي علاقة راسخة ومتجذّرة، شكّلت جزءًا من هُويّتي وتجاربي وذكرياتي، فالزّرقاء ليست مُجرّد مساحة جغرافيّة عشنا، وما زلنا نعيش فيها، بل هي جزء من كياني النفسيّ والثقافيّ.

ومن خلال الأدب عامةً، والقصّة بشكل خاصّ، عبّرتُ عن حبّي للزرقاء وانتمائي لها، ما يعكس أهميّة هذه العلاقة في تشكيل وعيي وذاكرتي. إنّ حبّ الزّرقاء هو تعبير عن الارتباط بالجذور والهُويّة الوطنيّة الأردنيّة، وهو شعور يرافقني أينما ذهبت.

وعندما كتب (غاستون باشلار) كتابه (جماليّات المكان)، الذي ترجمه غالب هلسا، لم يكن يعرف أنّ الزّرقاء هي المدينة الأعمق أثرًا في نفوسنا، وأنّنا لا نعرف قيمتها إلّا عندما نغادرها، لذلك حالفني الحظّ بأن كنت واحدةً من شاباتها وصباياها، اللواتي شاركن أشقّاءهن الرّجال في عشقها ومحبّتها، وكان كلّ ما كتبته تعبيرًا صادقًا وجميلا عن وقعِ وجودها على وجداني.

ولكوني قاصّةً وُلدتُ في إحدى بلاد الخليج العربيّ، وتحديدًا في الدوحة عاصمة دولة قطر، كان لمكان ولادتي أيضًا تأثيرٌ كبيرٌ عليَّ، وأنا إذ أنظر إلى تلك الفترة من عمري، أدرك أنّني قد حظيتُ بطفولة هادئة تشكّل من خلالها تكويني الوجدانيّ، فمدينةٌ تقع على ضفاف الخليج العربيّ، احتلّ البحر المشهد الانطباعيّ الأكثر رسوخًا في ذاكرتي، وكان لاتّساقه اللونيّ مع السماء عند خطّ الأفق، مع شروق الشمس أو مغيبها، منظر أخّاذ استوطن مخيّلتي، ونفذ إلى أعماقي، فأسبغ عليها هدوءًا بصريًّا واستقرارًا.

ولم تكن الوحدة اللونيّة وحدها السبب، بل شاطرها صوت الموج، بأنامله الرقيقة تارة، والهادرة تارة أخرى، فرقّ له قلبي، ورهف حسّي، وكوّن أولى أبجديّاتي السمعيّة واللغويّة.

وبعيدًا عن البحر ولغته العذبة، لمن يصغي لها السمع، كان لمنظر الأرض السهليّة المنبسطة، أينما اتّجهت، ومن بعدها الصحراء الممتدّة، كأنّها كفٌّ بلا مرتفعات تطامن السماء، أثر أكسبني بعدًا نفسيًّا آخر، ارتسم في البساطة عمومًا ووضوح الرؤية.

لقد كانت طفولة وادعة احتلّ فيها المكانُ عنصرًا رئيسيًّا، امتدّ إلى سنوات المرحلة الإعداديّة من حياتي، قبل أن أنتقلَ وأسرتي للاستقرار في الأردن، وتحديدًا في مدينة الزّرقاء، وأكملَ فيها دراستي الثانويّة والجامعيّة، التي أضافت إلى حياتي بُعدًا آخرَ عميقًا.

فقد عشتُ في إحدى ضواحيها الهادئة، التي تقع على أطراف المدينة، بعيدًا عن صخبها، وهي المدينة التي تنبض

بالحياة بطبيعتها، التي وإن تنوّعت بين جبل وواد، فإنَّ الأرض المنبسطة تغلب عليها. وكانت إحدى البيوتات التي انتقلتُ للعيش فيها تُطلّ على جبال تكتسي بالربيع الخلّاب والخضرة، حيث ترعى قطعان الأغنام إذا اخضرّت الأرض، وازدانت بما تجود به الطبيعة من ألوان متراكبة، فنرى زهر اللوز يزهر، فيكون أوّلَ مَنْ يُعلن عن قدوم الربيع، تتبعه الزهور البرّيّة وشقائق النعمان بحُمرتها الجميلة، وأصوات الطيور تُغرّد على غصون الأشجار.

وبالرغم من كلّ هذا الجمال، لا يدوم الربيع طويلًا في الزّرقاء، فسرعان ما يأتي الصيفُ لاهبًا، بقيظٍ شديد وشمسٍ مُلتهبة، يستمرّ شهورًا، قبل أن يعود الشتاء الخجول بسماء يندر تلبّدها بالغيوم، فيُعيد للمدينة نبضها، ويمتلئ نهرها بالماء، ويروي عطش قلوب قاطنيها حبًّا وعذوبة.

في هذه الأماكن نشأتُ وترعرعتُ، وقد أثّرتْ في حياتي، وشكّلتها بتأثير كبير، انعكس على كتاباتي بشكل لافت، فلا تكاد تخلو قصّة منها، ولا توجد خاطرة قصصيّة إلّا وأتَتْ على ذكر الدوحة بطبيعتها، إلى جانب الإسهاب في ذكر تفاصيل الربيع وجماله في الزّرقاء، أو ذكر حرّها الشديد في أيام صيفها.

وقد بدا هذا جليًّا في كتاباتي، فكما جاء في قصّة (موج)، التي انسكب فيها المكان انسكابًا، بدءًا من العنوان، ثم بتفاصيل المكان التي سُردَتْ بدقّة متناهية، حيث جاء فيها:

«على شواطئ الدوحة، ومياهها الزبرجديّة، وامتدادها على طول السواحل، والبحر باتّساعه لا يحدّه بصر، بأمواج متعاقبة يحكمها مدّ وجزر، من خلفها جزيرة صغيرة بنخيلها الشامخ تقف على مبعدة، تُحيط بها قوارب عدّة تتهادى من حولها كأهلّة مضاءة. والشمس تصعد بتؤدة إلى سماء تعانق بزرقتها خضرة البحر، وتتموضع في كبدها، تطالع البشر من خلف غيوم بيضاء كقطن متناثر، وترصد حركتهم بعيون من شعاع».

وبناءً على كلّ ذلك، فإنّني أؤمن بأنَّ المكان عنصر حيّ يتجسّد في كتابات الكاتب، شاء أم أبى، ففي لاشعوره يجد الكاتبُ نفسَه متأثّرًا بالأماكن التي عاش وترعرع فيها.

ولذلك كان حريًّا به أن يكتسب من صفات هذه الأماكن العريقة النامية، ويتأثّر بمسيرتها الحضاريّة، ويتماهى معها، فيُطوّر ذاته وقدراته الشخصيّة والعمليّة، ويرتقي بنفسه على كلّ الأصعدة، فيتسرّب ذلك إلى أسلوبه، وينعكس على كتاباته.

# الزَّرقاءُ: المُعلِّمةُ الحيَّةُ للعيشِ والهُويّة

رنا حداد

لم أولد في الزَّرقاء، لكنّها أصبحت بيتي ومهدًا لحياتي الجديدة، جئتُ إليها بعد أن ارتبطتُ بها بالزواج، وهناك أسّست بيتًا وحياة، ووضعتُ بذور عائلتي الصغيرة، فصارت بناتي يحملنَ فيها هُويّةً عائليّةً ووطنيّةً، قوامها الحبّ، التسامح، والفخر بانتمائهنّ للأردن.

الزَّرقاء بالنسبة لي ليسَتْ مُجرَّد مدينة على الخريطة، بل هي مدرسة للحياة، وحاضنة للذاكرة، وملهم دائم في كتاباتي، كلّ زاوية فيها تحمل درسًا عن الانتماء والشجاعة والاحترام، وكلّ شارع، وكلّ سوق، وكلّ مقهى، يروي حكاية المدينة وروح أهلها، في الزَّرقاء تعلّمتُ أنّ البيت ليس مُجرَّد جدران، بل هي قصص وحكايات وذكريات تتنفّس مع المدينة نفسها، وهكذا صارت الزَّرقاء جزءًا من روحي قبل أن تكون مكانًا أقيم فيه.

## ذكرياتُ المكان

مكان الولادة، البيت الأوّل، المدينة التي نشأتُ فيها، هي نقطة البداية التي تصنع وعي الإنسان وهُويّته. ذكرياتي عن البيت الذي احتضن طفولتي، والأصوات المألوفة، والجيران الذين عرّفوني معنى الأمان والدفء، كلّ ذلك شكّل جزءًا من شخصيّتي، لقد تعلّمت من هذا البيت أنّ الحبّ والتسامح ليسا مُجرَّد كلمات، بل هما سلوك يوميّ يُمارس مع كلّ مَن حولنا، وأنّ الانتماء يبدأ من أصغر دائرة: العائلة، ثم المجتمع، ثم الوطن.

عندما انتقلتُ إلى الزَّرقاء، شعرتُ كأنّني وجدتُ امتدادًا طبيعيًّا لتجربتي الحياتيّة، كأنّ المدينة احتضنتني بكلّ دفء؛ لتصبح مرآةً لأحلامي وهُويّتي، بحاراتها وأحيائها المتنوّعة، بناسها من شتّى البقاع، وأسواقها التي تحمل عبق المهن التقليديّة، ونشأة الأطفال بين المدارس العسكريّة وأروقة الأسواق، منحتني الزَّرقاء فرصةً فريدةً لأرى كيف يتشكّل الانتماء على مستوى أوسع، وكيف تتفاعل الهُويّات الفرديّة مع الروح الجماعيّة والوطنيّة.

الزَّرقاء ليست مُجرَّد مكان أقيم فيه، بل هي مدرسة للحياة، حيث كلُّ شارع وكلُّ ركن يروي قصة، وكلُّ وجه يعلّمني درسًا عن الشجاعة والمحبة والاعتزاز بالانتماء. هنا، بين تفاصيل المدينة الصغيرة والكبيرة، وجدتُ نفسي أكتب، أتعلّم، وأزرع في بناتي قيم الحبّ والتسامح والفخر بالأردن؛ لتصبح المدينة جزءًا من روحنا قبل أن تكون مُجرَّد مكان على الخريطة.

الزَّرقاء مدينة حيّة بكلّ تفاصيلها، وكلُّ تفاصيلها تُلهم الكتابة، لكن هناك وَقْفة رائعة شكّلت منحنىً جديدًا في رحلتي مع القلم والإبداع، وَقْفة في شارع الملك فيصل، ذلك الشارع الذي أسرَني منذ بداياتي في الزَّرقاء، لا يروي مُجرَّد قصّة مهنة قديمة، بل يحمل حياة كاملة في تفاصيلها.

هناك الخيّاطون الذين ورثوا مهنتهم عن آبائهم وأجدادهم، يصنعون لباس الشرف والكرامة للضبّاط والأطفال، رؤية هؤلاء وهم يقيسون المقاسات، يُخيّطون الأقمشة بعناية، جعلت القيم مثل الانضباط والاحترام والعمل الجادّ تتسلّل

• قصر الأزرق

إلى نصوصي؛ لتصبح الكتابة أكثر من مُجرَّد كلمات، بل تصير انعكاسًا لروح المدينة وتاريخها الحيّ في حياتي.

ثم هناك الأسواق الشعبيّة في الزَّرقاء، حيث صخبُ الناس وحركةُ الباعة وأصواتُهم المليئة بالحياة، وعبق الخبز الطازج والتوابل في شوارع حملَتْ أسماءَ مَنْ أسّسوا حياة اليوم بجهد الأمس، كلّها تحكي قصة المدينة اليوميّة بكلّ تفاصيلها.

هنا، بين الأزقة والأكشاك، في الحسبة وشارع السعادة، تعلّمتُ أنَّ الثقافة ليست مُجرَّد كتب أو مدارس، بل تجربة تعاش بكلّ الحواس، وأنَّ المدينة نفسها مُعلّمة حيّة، تهمس لك عن الماضي، وتُحدّثك عن الحاضر في الوقت نفسه. كلّ ركن، وكلّ صوت، وكلّ رائحة، تصبح درسًا في الانتماء والفخر بالهُويّة، وتغذّي كتاباتي بما هو أكثر من كلمات، بما هو روح الحياة التي تسري في شرايين الزَّرقاء.

## المكانُ التاريخيّ والحاضر

تاريخ الزَّرقاء غنيّ وعميق، فهي مدينة العسكر والجند والعمّال، التي بدأت في مطلع القرن العشرين، وتطوّرت بسرعة لتصبحَ مركزًا حضاريًّا مهمًّا. المعسكرات، المخيّمات، الحارات القديمة للمسيحيّين والمسلمين، الواحات التي استقرّ فيها الدروز، والمجموعات الفلسطينيّة، والشوام، والشيشان والشركس، كلّ تلك أسهمت في النمو السكّانيّ والحركة التجاريّة والاجتماعيّة والثقافيّة المُميّزة للمدينة، كلُّ هذه العناصر شكّلت فسيفساء ثقافيّة، تعلّمتُ منها أنَّ الاختلاف قوة، وأنَّ التعايش والاحترام المتبادل أساس المجتمع، وأنَّ التعدّديّة هي أجمل أدوات الإنسان ليبدع ويرى اتساع الحياة.

الزَّرقاء مدينة الأدباء والمفكّرين، من فخري قعوار إلى بدر عبد الحق، أمجد ناصر، حمودة زلوم، زياد عودة، وسعادة أبو عراق، مرورًا بمحمود أبو فروة الرجبي، رشاد أبو داوود، ميسون حنّا، جهاد الرجبي، وفخري صالح، وغيرهم الكثير الكثير من هؤلاء الذين ولدوا أو عاشوا في المدينة، وتركوا بصماتهم الأدبيّة والثقافيّة، وأسهموا في بناء نصوص شكّلت جزءًا من السرديّة الأردنيّة.

في كتاباتي، أستحضر هذه الشخصيّات، وأحاول أن أنقل القارئ إلى الزَّرقاء كما أراها أنا: مدينة حيّة، ينبض قلبها بالثقافة والتاريخ. إلى اليوم، يمكن للمرء أن يرى الفرق بين الماضي والحاضر: شارع الملك فيصل لم يَعُدْ مزدحمًا كما كان، عدد مخيطات الجيش تقلّص، لكنَّ الروح باقية. الأسواق ما زالت تنبض بالحياة، المقاهي تجمع الشَّباب والفتيات، والمدارس تربّي على الانتماء، كلّ هذه التفاصيل تجعل من المدينة مكانًا حيًّا، يتنفّس مع سكّانه، ويتفاعل مع كلّ قصّة تُكتَب عنه.

## المكانُ كعنصرٍ حيّ

أنا أؤمن بأنَّ المكان عنصر حيّ، الزَّرقاء ليست مُجرَّد موقع جغرافيّ أو مجموعة مبانٍ، بل هي كائن يملك طاقةً وروحًا، ويتفاعل مع كلّ مَن يعيش فيه، عندما أكتب، أتصوّر المدينة تتحرّك معي: الشوارع تتنفّس، الحارات تتحدّث، الأشخاص الذين يقصّون القماش أو يبيعون البضائع يصبحون شخصيّات في نصوصي، هذا الإيمان يجعل الكتابة أكثر واقعيّة، وأكثر قدرة على نقل تجربة الحياة الحقيقيّة للقارئ.

أحيانًا أصف حارة الشوام كما لو كانت شخصيّة حيّة، بأزقّتها الضيّقة، وروائح الخبز الطازج، وضحكات الأطفال الذين يلعبون في الشارع. وفي نصّ آخر، أكتب عن المخيطة العسكريّة، عن أصوات المقصّات، والفخر والعزّ على مُحيّا جندي يرتدي الزيّ العسكريّ، والفرحة في عيون الأطفال الذين يرتدون الزيّ ذاته أوّل مرة. كلُّ هذه التفاصيل تحوّل المكان إلى كائن حيّ، له تأثير مباشر على طرحك، وعلى فكرك، وحتى على طريقة حديثك وكتابتك في العموم.

بعد عقدين من العيش فيها، اليوم الزَّرقاء مدينة نابضة بالحياة على نحو مختلف، حيث المصانع تقف كعمود فقريّ للاقتصاد، والمؤسّسات الحديثة تفتح آفاقًا جديدةً للعمل والتعليم والخدمات، وكلُّ هذا التقدم لا ينفصل عن جذوره العميقة.

عند السير في شوارعها الجديدة، أو مشاهدة المباني الحديثة، تشعر كأنَّ الماضي يهمس لك من بين الجدران والأسقف، يذكّرك بأنَّ كلَّ إنجاز اليوم قائم على تعب الأجيال التي سبقتنا، على أيدي من أسّسوا الحارات، وبنوا الأسواق، ووضعوا أسس الانتماء والعمل الجادّ.

في الزَّرقاء، لا يبدو التطوّر مُجرَّد بنى تحتيّة، بل حكاية متواصلة، المصانع لا تنتج فقط بضائع، بل تحافظ على إرث الاجتهاد والإتقان، والمؤسّسات ليست مُجرَّد مكاتب، بل تترجم قيم المسؤوليّة والالتزام التي تشرّبتها المدينة من تاريخها الطويل. في كلّ زاوية حديثة، ترى انعكاسًا لأيد سعت قبل عقود لبناء أساس متين، وأنت تشعر أنَّ الحاضر هنا ممتدّ من الماضي، والابتكار يتنفّس على وقع جذور راسخة.

الزَّرقاء بذلك تُعلّم أنَّ المدينة الحقيقيّة هي التي تجمع بين الأصالة والتقدّم، بين الجهد التاريخيّ والرؤية المستقبليّة، بين الهُويّة الثابتة والفرص الجديدة، كلّ خطوة في هذه المدينة تعكس الاحترام لمَنْ أسّسها، وكلّ مصنع أو مؤسّسة حديثة تُبرز قدرة الإنسان على التطوير دون أن ينسى جذوره.

وهكذا تصبح الزَّرقاء أكثر من مُجرَّد مكان، مدرسة مستمرّة، معلّم حيّ للتاريخ والعمل والطموح، وشاهد على أنَّ الإنجاز الحقيقيّ ينبع من الالتزام بالماضي، مع الرغبة في بناء مستقبل مزدهر.

ملتقى الأجيال

# الكاتبةُ غزل المدادحة تُحاوِرُ الأديبةَ حنان بيروتي

# الكاتبةُ غزل المدادحة تُحاوِرُ الأديبةَ حنان بيروتي

الكاتبةُ غزل المدادحة

الأديبةُ حنان بيروتي

ما تزالُ مجلّةُ (صوت الجيل) تسعى إلى مدّ جسور التواصل بين الأجيال الأدبيّة؛ إيمانًا منها بأنَّ التواصل الثقافيَّ ضمانة قصوى لنشوء أجيال أدبيّة جديدة غير منقطعة عن ماضيها، ومُتبصّرة بحاضرها، وغير غافلة عن مستقبلها، وبالرغم من أنَّ هذه المجلة، كانت وراء نبوغ عدد من الأصوات الشّبابيّة، في الوقت الذي شكّلت فيه حاضنةً للإبداع الشّبابيّ، فإنّها لم تنسَ الأدباء المُكرّسين والتنويريّين، الذين أثرَوا المكتبةَ العربيّةَ بمؤلّفاتهم القيّمة، وكانوا من مشجّعي الشّباب على الإبداع، ولم يحرموهم يومًا من توجيهاتهم.

في هذا العدد تُحاور الكاتبةُ الشابّةُ غزل المدادحة، الأديبة حنان بيروتي، وتطرح عليها عددًا من الأسئلة التي تتطرّق إلى تجربتها القصصيّة بخاصة، وإلى ما يشهده العالم من تقنيّات جماليّة وموضوعيّة تطال الأجناس الأدبيّة كافة.

تُعَدّ الأديبة حنان بيروتي في طليعة الكاتبات الأردنيّات للقصة القصيرة، ولها حضورها المحلّيّ والعربيّ، من خلال كتاباتها واسعة الانتشار في مجالات: القصة القصيرة، والنصوص النثريّة، والمقالة، والمسرح، وهي حاصلة على بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من كليّة الآداب في الجامعة الأردنيّة، وقد تُرجمت بعض قصصها إلى اللغتين الإنجليزيّة والإسبانيّة، ومن مجموعاتها القصصيّة:

- (الإشارة حمراء دائمًا)، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان 1993م.
- (فتات)، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 1999م.
- (تفاصيل صغيرة)، دار أزمنة، عمان، 2007م.
- (فرح مشروخ)، دار أزمنة، 2007م.
- (ليل آخر)، دار فضاءات 2012م.
- (ليت للبحر لسانًا يحكي)، دار فضاءات، 2017م.

ولها مجموعة قصص قصيرة جدًّا بعنوان: (بين بكاءين)، دار فضاءات، عمان، 2015م.

ومن مؤلّفاتها:

- (لعينيكَ تأوي عصافير روحي)، نصوص نثريّة، دار أزمنة، 1996م.
- (لأنّكَ حبري وبوحي)، نصوص نثريّة، دار فضاءات، 2015م.
- (ذكرى الغريب)، دار أطلس، القاهرة، 2013م.

- (لمن أهدي أزاهير العيد؟)، دار فضاءات 2013م.
- (أحلام متأخّرة)، الدائرة الثقافيّة لأمانة عمّان الكبرى.

**ومن مؤلّفاتها المُشتركة:**

- (مُختارات من القصّة الأردنيّة)، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2008م.
- (أفق النوارس)، مجموعة قصصيّة مشتركة، دار جان للنشر، ألمانيا.
- (من الرحم المتكلّم للصحراء)، قصص مُترجَمة لأديبات أردنيّات، اختيار وترجمة: د. رلى قواس.
- (أزهار متفتّحة)، مجموعة قصصيّة ترجمها: د. سعيد الخواجة.

وسبق لوزارة التربية الجزائريّة أن اختارت مقتطفات من مقالتها (أسرى الشاشات)؛ لتكون ضمن منهاج اللغة العربيّة للسنة الرابعة متوسّط. وقد حصلت الأديبة حنان بيروتي على العديد من الجوائز الأدبيّة والتربويّة، منها:

- جائزة الملكة رانيا للتميّز التربويّ: المعلّم المتميّز عام 2014م.
- جائزة مهرجان البجراوية للإبداع الثقافيّ النسائيّ العربيّ الأوّل في القصة القصيرة لدى انعقاده في الخرطوم عام 2005م.
- المركز الأول في جائزة الحارث بن عمير الأزدي للقصة القصيرة، من ملتقى بصيرا الثقافيّ لدى انعقاده في الطفيلة عام 2007م.
- جائزة ناجي نعمان الأدبيّة العالميّة، جائزة الإبداع: جوائز من خارج المسابقة لعام 2007م.
- جائزة أفضل مجموعة قصصيّة عربيّة من مركز عماد قطري للتنمية الثقافيّة في القاهرة عام 2012م.
- جائزة دار جان للنشر في ألمانيا عام 2012م.
- جائزة محمد طملية لأفضل مقالة صحفيّة عربيّة من صحيفة العرب اليوم في عمّان 2012م.
- جائزة نازك الملائكة في مجال القصة القصيرة من وزارة الثقافة العراقيّة عام 2012م.

بالإضافة إلى عدد من شهادات التقدير من هيئات ومسابقات أدبيّة عربيّة، بالإضافة إلى مشاركتها في عدد كبير من الأمسيات القصصيّة، والملتقيات والمهرجانات الأدبيّة المحلّيّة والعربيّة.

أمّا الكاتبة غزل أحمد المدادحة، فهي قاصة وشاعرة وطنيّة، ولها ديوان بعنوان (تباريح الشوق)، وسبق لها أن شاركت في العديد من المحافل والمؤتمرات الوطنيّة، وتتميّز بإلقاء القصائد التي تتغنّى بالوطن والقيادة الهاشميّة، وتكتب في عدّة صحف ومجلّات عربيّة، وهي فنّانة أردنيّة شاملة صاعدة، برزت شابة موهوبة في عدّة جوانب في المشهد الثقافيّ والفنّيّ الأردنيّ، ويتركّز دورها في التمثيل التلفزيونيّ والمسرحيّ، وفي المكياج السينمائيّ، كما أنّها ناشطة في المراكز الشبابيّة التابعة لوزارة الشباب.

في ما يلي وقائع الحوار:

**• بالرغم من أنَّ قصصك ذات قضايا إنسانيّة، فإنَّ بعضها محليّ، ويتّخذ من الأرض الأردنيّة مسرحًا لأحداثه، ومن ذلك قصة (تفاحات أبو إبراهيم)، التي جرت أحداثها في حيّ الغويرية في الزرقاء، كيف تنظرين إلى مَنْ يأخذون على قاصّينا توقّفهم عند قضايا من بيئتنا المحليّة؟ وهل للزرقاء أثر في قصصك؟**

- هذا السؤال مركّب، ويتضمّن أكثر من محور، بعض المحليّة واتّخاذ الأرض الأردنيّة مسرحًا لأحداث القصة، لا ينفي أنّها تحمل قضايا إنسانيّة، كما في قصة (تفاحات أبو إبراهيم)، التي جرت أحداثها كما ذكرت في حيّ الغويرية في الزرقاء، وهو من الأحياء الشعبيّة الغنيّة بناسها الساعينَ للحياة بكلّ ما أوتوا من أمل، ولا أتفق مع أنَّ التوقّف على قضايا من البيئة المحليّة يمثّل مأخذًا على الكاتب، فالقضايا الإنسانيّة متشابكة، والهمّ الإنسانيّ مشترك.

من الطبيعيّ أن يكون للمدينة التي ولدتُ ونشأتُ فيها أثر في قصصيّ، سماءُ القلب الزرقاء، مدينتي التي تمنّيتُ لو منحتها مساحةً وانعكاسًا أكبر في ما كتبت، والكاتب هو ابن المكان، لكن بشكل عام القارئ بتمعّن لنتاجي القصصيّ يلحظ أنَّ الانطلاقة لديَّ من النفس البشريّة في لحظات مأزومة أو مفترق طرق، والمكان المادّيّ لا ينعكس بشكل مباشر في ما أكتب، النفسُ البشريّةُ هي المكانُ في قصصي.

**• منذ بدايات مسيرتك القصصيّة، وإلى اليوم، حدثت الكثير من التطوّرات التّقنيّة في مجال القصة القصيرة في العالم، هل استطعت أن تُدخلي تلك التطوّرات أو بعضها في أعمالكِ القصصيّة؟**

- هذا السؤال متروك للنقّاد، وبرأيي أنَّ الكاتب حالة إبداعيّة متفرّدة، ولا يشبه مُبرمجًا للحاسوب، مثلًا عليه أن يواكب التطوّرات المُتسارعة والمُستحدَثة ويتبنّاها، وإلّا ستكون التّقنيّة لديه غير فعّالة، الإبداع القصصيّ مختلف، وللكاتب أن يتبنّى الأساليب التي تتواءم مع طبيعة تجربته وروحه الإبداعيّة، والمبدع الحقيقيّ لا يفصّل إبداعه وفق مقاسات معيّنة، ولكلّ أديب أسلوبه وطبيعة تجربته، المتلقّي يمكنه الحكم على المستوى الفنّيّ للقصة، ومدى احترام ذائقته الإبداعيّة ولمس قلبه، والرسوخ في ذاكرته.

**• يُلاحَظ في مجموعاتك القصصيّة انحيازك للقاعدة الشعبيّة، ولأرق الجماهير، وللظروف الاقتصاديّة الصعبة التي تمرّ بها بعض النساء، هل ينبع ذلك من التزامك بهموم أمتك أم أنَّ عملك في التعليم أحدث هذه النقلة في مسيرتك القصصيّة؟**

- الانحياز للأرق وللظروف الاقتصاديّة الصعبة، وما تتسبّب به من معاناة إنسانيّة، وخلق ظروف ضاغطة على الفرد، لا ينبع من الالتزام أو من العمل في سلك التعليم فقط، بل من المنبع الحقيقيّ للكتابة، من النفس المُشبَعة بكلّ ما كابدته وعاينته حولها، والتي تتّصف بحساسيّة مُرهَفة، وبقدرة على الالتقاط.

الكتابةُ بالنسبة لي هي انعكاس للحياة بمعاناتها ومشكلاتها على نفس الكاتب، التي تسعى لكسر قبح العالم وإعادة بنائه وتأثيثه بالجمال، ترى وتحاكم وتتألّم وتكابد، وتحلم دائمًا بالأفضل، ولا أنكر أنَّ تجربتي في التعليم التي امتدّت لقرابة ثلاث عقود، أثرت تجربتي الإنسانيّة، ومكّنتني من الاطّلاع عن قرب على قضايا اجتماعيّة، مثل التفكّك الأسريّ وانعكاسه المؤلم على الأبناء، وتردّي الوضع الاقتصاديّ، لكنّه عامل مساعد، والأساس هو عين الكاتب التي

تلتقط اللحظة، الموقف، الفكرة التي يمكن من خلالها بناء قصة.

**• القصة القصيرة جدًّا ما تزال تترنّح بين من استحدثوها وكتبوا في مجالها، وبين من يعارضونها ولا يرون فيها جنسًا أدبيًّا يستحقّ البقاء، وبما أنّك من أهمّ كاتباتها، ماذا تقولين لخصومها؟**

- القصة القصيرة جدًّا فنّ أدبيّ ما زال في طور التجريب، والكتابة فيه شائكة وتتطلّب خبرة وقدرة على تطويع اللغة واختزالها، كما أنَّ الفاصل الفنّيّ بينها وبين الومضة الأدبيّة أو الخاطرة الموجزة خيط رفيع جدًّا، بالرغم من أنَّ بعض الأفراد يستسهلون الكتابة فيها، ويبقى التجريب أمر إيجابيّ، فتراكم التجارب يُثري هذا الفنّ، ويسهم في نضجه الفنّيّ، والقدرة على كتابة قصة قصيرة جدًّا ناجحة أمر نسبيّ، حتى لدى الكاتب ذاته، بصرف النظر عن تجربته، أمّا مسألة الحكم بأنَّ جنسًا أدبيًّا يستحقّ أو لا يستحقّ البقاء، فهو أمر متروك للزمن وللمتلقّي، ولا يبتُّ فيه مبدع ولا ناقد.

**• تلجئين في بعض قصصك إلى تقنيّة الأحلام، وأحيانًا إلى أمور تجري في البارسيكولوجي، وكثيرًا ما تلجئين لتيار الوعي وللمونولوج الداخليّ، بماذا تفسّرين هذا التوجّه، لا سيّما أنّك من أبرز كاتبات القصة السيكولوجيّة؟**

- القصة القصيرة فنّ أدبيّ مطواع، يحتمل التجريب واللجوء إلى المونولوج الداخلي وتيار الوعي، هو توجّه لا تفسير جاهز لديَّ بخصوصه أكثر من أنّه يتوافق مع أسلوبي في كتابة القصة القصيرة. ومفهوم القصة القصيرة أوسع من سرد حكاية والتقيّد بأسلوب تقليديّ مكرَّر، فالحياة حولنا تمتلئ بالحكايات والقصص، والمتلقّي المعاصر مُحاط بالشاشات الساحرة الآسرة، وبتعدّد مصادر المعرفة، ولم تعد تقنعه أو تشدّه قصة تقليديّة تسجّل الواقع كما هو.

إضفاء الدهشة والتفنّن في السرد، مع امتلاك الأسس الفنّيّة للقصة، هما السّرّ في إمكانيّة ترك بصمة، فالمتلقّي المعاصر بات أوسع اطّلاعًا بفضل السيل التكنولوجيّ، اعتاد ذهنه السرعة في التلقّي، وتواصل الإحساس بلذة المعرفة والاطّلاع، والتقليب على شاشة هاتفه بدهشة متجدّدة، وبالتالي القدرة على جذب انتباهه لقراءة قصة يتطلّب تمكّنًا من الأدوات الفنّيّة، وقدرة على تصوير الحدث بتقنيّات متعدّدة، وبناء القصة بأسلوب غير تقليديّ.

**• بالرغم من إعلان بعض النقّاد عن موت القصة القصيرة، فإنّها ازدهرت في السنوات الأخيرة بسبب الجوائز الماديّة والمعنويّة التي تقدّمها بعض الهيئات الثقافيّة والعربيّة للقاصّين والروائيّين العرب، وبما أنّك حصلت على جوائز عديدة، فهل كان لهذه الجوائز أثر في مسيرتك السرديّة؟**

- القصة القصيرة فنّ الحياة الذي لا يموت، وفي رأيي حين نتحدّث عن تراجعها، فهو تراجع مرحليّ، فللقصة القصيرة حضورها ومساحتها التي تتأثّر

بمعطيات العصر وطبيعة التطوّر والتغيّر الاجتماعيّ والسياسيّ والتكنولوجيّ، وبشكل عام الرواية هي التي تتسيّد المشهد الثقافيّ العربيّ لأسباب لا مجال للخوض فيها، وقد يكون أحدها الجوائز المادّيّة والمعنويّة الخاصة بها، لكنّ الإبداع الأدبيّ أعمق من أن يكون موسميًّا وفق الجوائز الأدبيّة على أهميّتها في رفد المشروع الإبداعيّ للكاتب، والأدب الذي يُكتب بهدف نيل جائزة لا يُعَدّ فنًّا حقيقيًّا مكتوبًا بحبر القلب.

أمّا بخصوص حصولي على جوائز عديدة في المجال التربويّ والأدبيّ في القصة القصيرة والمقالة، فهذا ممّا أعتزّ به في مسيرتي الأدبيّة، ويمثّل محطّة فرح قصيرة يعقبها تزايد للمسؤوليّة.

**• صمت نقّادٌ كثيرون في السنوات الأخيرة، فلم يعودوا يتحدّثون عن أدب المرأة، ما موقفك من هذا الصنف من الأدب الذي سُمّي بهذا الاسم لأنّ كاتبته امرأة؟ متناسين أنّ الأدباء الرجال توقّفوا طويلًا عند قضايا النساء.**

- لستُ ضدّ التصنيف إن كان بهدف الإشارة إلى ما يتميّز به الأدب الذي تكتبه المرأة من امتلاك حساسيّة أنثويّة خاصة، والتفات إلى التفاصيل الصغيرة، والتعبير باطّلاع عن الهموم والقضايا التي تكابدها بصفتها امرأة، وهذا لا يعني بحال انغلاق كتابات المرأة على القضايا المتعلّقة بالنساء أو العكس، ويبقى المستوى الفنّي للنصّ هو الحكم.

وكما ذكرت أنّ بعض الأدباء الرجال توقّفوا عند قضايا المرأة، كذلك يمكن للمرأة الكتابة عن معاناة الرجل، فالشيء المشترك الذي لا يمكن تجاوزه هو روح إنسانيّة مبدعة، سواء لرجل أو لامرأة، والمعاناة مشتركة، وإن اختلفت في الطبيعة والأشكال، نتحدّث عن إبداع إنسانيّ، سواء صدر من امرأة أو من رجل.

**• بما أنّك في طليعة كاتبات القصة القصيرة الأردنيّات، اللّواتي تجاوزن التجريب، ولم يعدنَ يتمسّكن بقيود القصة التقليديّة من مقدّمة وحبكة ونهاية، هل ذلك مقصود أم أنّ خيوط القصة تُملي عليك مسايرتها والكتابة وفق توجّهاتها؟**

- الالتزام بالعناصر الفنّيّة لكتابة القصة أمرٌ لا خلاف عليه، ولا أدري من أين جاءت فكرة أنّ تجاوز التجريب يعني عدم التمسّك بها، لكن يمكن القول إنّ تجاوز التجريب يعني القدرة على تطويع اللغة القصصيّة والعناصر الفنّيّة، وإنتاج قصة قصيرة

مقنعة للقارئ في زمن بات فيه المتلقّي مطّلعًا على نماذج عديدة، ومفعمًا بدهشة متجدّدة ورفد متواصل للمعلومة والأخبار، ومُشتّتًا بين الشاشات ومصادر المعرفة المختلفة، وبالتالي كتابة قصة قصيرة بلعبة فنّيّة تقليديّة ومكشوفة لا تقنعه ولا تجتذبه، والإمساك بخيوط القصة القصيرة أمر أساسيّ لأيّ كاتب قصة، بصرف النظر عن قصر أو امتداد تجربته.

**• حدث في السنوات الأخيرة تداخل بين الأجناس الأدبيّة، فصرنا نقرأ عن القصة داخل القصة، وعن القصة الشعريّة، والقصيدة القصصيّة، لاحظنا في بعض قصصك لوحات بصريّة مملوءة بالتشابيه والكنايات والتشخيص البلاغيّ، ما موقفك من هذا التداخل بين الأنواع الأدبيّة والفنّيّة في القصة الواحدة لديك؟**

- الشقُّ الأوّل من السؤال متعلّق بالتداخل بين الأجناس الأدبيّة، مثل القصة الشعريّة، والقصيدة القصصيّة وغيرها، وموقفي متحفّظ من مثل هذه الأجناس المُستحدَثة، لستُ ضدّ أو مع كونها كلّها في طور التجريب، ولم تنضج فنيًّا، ولست ممّن يجبر قلمه على خوض التجريب لمجرّد المجاراة، فما أكتبه ينبع من نبضي الداخليّ، ولا يمكنه التحليق بأجنحة مستعارة لا تشابهه.

الشقُّ الثاني من السؤال متعلّق بما في بعض قصصي من لوحات بصريّة مملوءة بالتشابيه والكنايات، وهذا في رأيي جزءٌ من طبيعة كتابتي، التي تتّكئ على اللغة الأدبيّة التي تسهم في إيصال الفكرة والمعنى في القصة بطريقة جماليّة، وجملة قصصيّة غير تقريريّة أو جامدة منفرّة للقارئ، ولا علاقة لذلك بالتداخل بين الأجناس الأدبيّة المذكورة.

حين أكتب القصة القصيرة أو المقالة أو الشذرات، يميل قلمي للاتّكاء على اللغة، وتطويعها لتوصلَ المعنى بجماليّة فنّيّة، وهذا ضمن رؤيتي للكتابة وطبيعة أسلوبي بشكل عامّ.

**• أقمت في السنوات الأخيرة مدّةً طويلةً خارج المملكة الأردنيّة الهاشميّة، هل تركت الغربةُ والاغترابُ الجسديّ أثره على أعمالك القصصيّة؟**

- الغربةُ تجربةٌ فريدةٌ وتحدٌّ كبير، وفرصة لإثراء التجربة الحياتيّة والفكريّة، كما أنّ شكل الغربة المعاصر اختلف كلّيًا عمّا كان عليه من قبل، حين كان

انقطاعًا شبه تامّ إلّا عبر الرسائل الورقيّة والاتصالات الهاتفيّة الصوتيّة القصيرة والمتباعدة؛ نظرًا لتكلفتها الباهظة، فبفضل التكنولوجيا تيسّرت سبل الاتصال والتواصل، ولم تَعُد المسافاتُ المكانيّةُ جافّةً وقاحلةً كما كانت، بل باتت فرصةً للتأمّل والرؤية عن بعد بوضوح أكبر، وهو ممّا قلّص أثر الاغتراب، إضافة إلى تغيّرٍ طبيعة العلاقات الاجتماعيّة بصورة ملحوظة، خاصة بعد عزلة كورونا الإجباريّة، التي أسهمت في إنضاج القطيعة والبرودة، فقد يعيش الفرد المعاصر مشاعر الاغتراب حتى وهو داخل وطنه، وهذا في رأيي أقسى أشكال الغربة.

لكنّ هذه التجربة لا بدّ أن تترك أثارًا عميقةً ليس على النتاج الأدبيّ فحسب، بل على التكوين النفسيّ والثقافيّ، وكي أكونَ صادقةً، أقول إنّ نتاجي القصصيّ قلّ خلال هذه الفترة، فحين الاستغراق في ظرف يتّصف بالتغيير الكلّيّ، لا يمكن لي لملمة حواسي لكتابة قصصيّة، وأتمنّى أن تكون مرحلة اختزان أعود بعدها لكتابة جديدة، وقد سبق وتوقّفتُ لعقدٍ من الزمن عند بدء رحلتي مع الأمومة، وعدتُ بعدها بعطشٍ وقوة؛ لأنّ الإبداع حاجة فطريّة لديّ، وجزء من تكويني، لا أستجلب الكلمات لمجرّد الكتابة، إذ لا بدّ أن تنبع من أعماقي في أوانها.

**• لاحظنا قيامك بتحويل بعض قصصك إلى نصوص مسرحيّة، اعتمدت الهيئة العربيّة للمسرح إحداها لتكون ضمن النصوص العشرين المرشّحة للفوز بجائزتها، هل ما زلت تخوضين هذه التجربة لمسرحة القصص؟**

- تجربتي في الكتابة المسرحيّة بدأت -كما تفضّلت- بمسرحة بعض القصص التي سبق أن كتبتها، وكانت الفكرة فيها تحتمل التفرّع والبوح أكثر، واستمتعتُ بهذه التجربة؛ لكونه في المسرح يمكنك البوح بطرائق متعدّدة، والتعبير بأكثر من صوت، وبمباشرة مقبولة فنّيًا، كما في مسرحيّة (فرح مؤجّل)، و(تخوم النهايات).

لكن بعدها كأنّما استهوتني الكتابة المسرحيّة، فكتبت مسرحيّة (ذاكرة الجدار)، وهي وليدة اللحظة، ولم تكن قصةً سبق أن كتبتها، كذلك مسرحيّة (موت معنون) التي اعتُمدت من قبل الهيئة العربيّة للمسرح ضمن قائمة العشرين المُرشّحة للفوز في المسابقة، حملت فكرةً جديدةً لم يسبق لي الكتابة فيها قصصيًا، لكن تأليف مسرحيّة يتطلّب عرضها على خشبة المسرح لتكتمل وليتحقّق وصولها، ربما يحتاج الأمر إلى شبكة علاقات ومعرفة أوسع بقنوات تواصل، وهو ما لا أتقنه في الوسط الثقافيّ.

**• سبق لك أن فزت بجائزة محمد طملية لأفضل مقالة صحفيّة عربيّة من جريدة (العرب اليوم) الأردنيّة عام 2012م، وما زالت مقالاتك تتوالى في مجلة (العربيّ) الكويتيّة، كيف تجمعين بين كتابة القصة القصيرة والنصوص النثريّة والمقالات الأدبيّة، دون أن يطغى فنّ على الآخر؟**

- جائزة محمد طملية من الجوائز التي أعتزّ بها؛ لكونها جاءت في مجال المقالة، وأنا كاتبة قصة قصيرة في الأساس، ولكونها تحمل اسم مبدع استثنائيّ ومتفرّد. المقالة فنّ أدبيّ قريب لطقسي الإبداعيّ، وممّا يستهوي قلمي؛ لكونه شُرفةً للبوح عن الأفكار دونما حاجة للمواربة، وبإمكانيّة إيصالها بلغة أدبيّة رشيقة غير مغرقة بالغموض والدلالات.

وأعتزّ بنشر نتاجي في مجلة (العربيّ) الكويتيّة، هذا المنبر العربيّ العريق، الذي أسهم في وصول كلمتي عربيًا، كما أنّ توكيلي لعدة دورات بتحكيم مسابقة (قصص على الهواء)، التي تجريها المجلّة بالتعاون مع إذاعة (مونت كارلو) الدّوليّة، أسهم في اطّلاعي على تجارب الجيل الجديد في كتابة القصة.

أمّا بالنسبة لمسألة الجمع بين أكثر من فنّ أدبيّ دون أن يطغى فنّ على آخر، ففي رأيي يمكن للكاتب الإبحار بقلمه إلى عدّة وجهات، يعتمد على الدفقة الإبداعيّة، والرسالة أو الفكرة المراد إيصالها، التي تحدّد الشكل الأدبيّ.

# ورد بلدي


بيتُ الرمال ............ محمود حلمي

أثرٌ لا يُرى ............ مسلم محمود النباهنة

وَمْضات ............ هدى الأحمد

وألقى الرّجاءُ عصاه فاستقرّتِ الروح ............ فرح بني عامر

وجعٌ بلا شهود ............ رنيم العمري

سعادةٌ خافتة ............ بسمة نعيم

منطقةُ (واحد وخمسين) ............ بشرى البدارين

ظِلالُ عمّان ............ سماح موسى

# بيتُ الرمال

محمود حلمي

كانَ بيتًا واحدًا، أقسمَ مَن شَيَّدَهُ ألّا يكونَ إلّا واحدًا، فأقامَ جدرانَهُ الخارجيّةَ من صخرِ الجبالِ العتيق، وصلابةِ الإيمان، وسَقَفَهُ بخشبِ الأَرْزِ الذي يحملُ عطرَ الخلود، في فنائه الأوسط، تحتَ قبّةِ السماء مباشرةً، كانت تجلسُ العائلةُ كلَّ مساء، تتناقلُ حكاياتِ الجدِّ الأوّل، وتشربُ الشايَ من إبريقٍ نحاسيٍّ واحدٍ لا ثاني له، لم تكن هناك أبوابٌ في الداخل، بل أقواسٌ مفتوحةٌ كالأذرع، تتدفّقُ من خلالها الأصواتُ والضّحكاتُ ونسماتُ الهواء، فلا يعرفُ أحدٌ أينَ تنتهي غرفتُهُ وتبدأ غرفةُ أخيه، كانوا جسدًا واحدًا بقلبٍ واحد، يتنفّسونَ الهواءَ نفسَهُ، ويقتسمونَ الرغيفَ نفسَهُ، ويحلمونَ الحُلمَ نفسَهُ.

لا أحدَ يذكرُ كيفَ بدأَ الأمرُ، فبذورُ الشّقاقِ تُزرَعُ في الظلام، وتنمو في صمت، ولا تُرى إلّا حينَ تصيرُ شجرةً خبيثةً تُلقي بظلالها الباردة على كلِّ شيء، ربما بدأَتْ بهمسةٍ عابرةٍ عن ظلِّ شجرةِ ليمون يميلُ إلى قسمٍ أكثرَ من الآخر، أو ربما كانَتْ نظرةَ عتابٍ صامتةً على كوبِ ماءٍ سُكِبَ دونَ قصد، في النهاية كان شيئًا تافهًا، شيئًا لا يُذكر، لكنّه حفرَ في النفوسِ أخدودًا رفيعًا، ثم جاءت الأيّامُ لتُعمّقَهُ وتُحوّلَهُ إلى هُوّةٍ سحيقة.

الأخُ الأكبرُ الذي شابَ رأسُهُ من ثقلِ الذكريات، كانَ أوّلَ مَنْ وضعَ حجرًا، لم يكنْ جدارًا، بل كان مُجرّدَ علامةٍ منخفضةٍ على الأرض، خطًّا يفصلُ بين بساطِهِ وبساطِ أخيه الأصغر، قالَ لنفسه: «إنّه فقط لتنظيمِ المكان».

لكنَّ الخطوطَ على الأرضِ سرعانَ ما تتحوّلُ إلى خطوطٍ في القلب، رآهُ أخوهُ فابتسمَ ابتسامةً باهتةً، وفي اليومِ التالي، رفعَ الخطَّ إلى صفٍّ من الحجارة، ثم جاءَ ثالثٌ ووضعَ ستارًا من قماشٍ خشن، وهكذا، بدأت الجدرانُ الوهميّةُ ترتفع، ثم صارَتْ جدرانًا من طين، ثم من آجرٍّ، وأخيرًا من صخرٍ صلد.

ماتَ الفناءُ الأوسط، لم تَعُدْ شمسُ الظهيرةِ تجدُ طريقَها إليه، وصارَ معبرًا ضيّقًا ومظلمًا تتجمّعُ فيه الأتربةُ وأوراقُ الشجرِ اليابسة، صارَ كلُّ أخٍ سجينَ غرفته التي وسّعها على حسابِ الفناءِ المشترك، لم يعودوا يقتسمونَ الرغيف، فكلُّ واحدٍ يخبزُ رغيفَهُ الصغيرَ المرَّ على نارِ وحدته، لم يعودوا يتكلّمونَ لغةً واحدةً، فخلفَ كلِّ جدار، تطوّرَتْ لهجةٌ جديدةٌ، مشبعةٌ بالشكوى والمرارةِ والوحشة، صاروا غرباءَ تحتَ سقفٍ واحد، يسمعونَ سعالَ بعضهم بعضًا في الليلِ فيرتجفون، لا شفقةً، بل خوفًا.

كانوا قد نسوا وصيّةَ الجدِّ الأوّل، تلكَ المنقوشةَ على حجرِ العتبةِ الكبيرة، التي غطّاها الآنَ غبارُ النسيان: «قوةُ هذا البيتِ ليستْ في جدرانه الخارجيّة، بل في فضائه الداخليِّ المفتوح».

ذاتَ ليلة هبَّتْ عاصفةٌ هوجاء، لم يشهدوا مثلها من قبلُ، لم تكن ريحًا عاديةً، بل كانت زلزالًا يرتدي ثوبَ الهواء، ارتطمَتْ بالبيت فضجَّتْ أركانُهُ، وبدأ السقفُ العظيمُ يئنُّ من وطأتها. الجدرانُ الخارجيَّةُ الصخريَّةُ، التي طالما حمتهم، بدأتْ تظهرُ فيها شقوقٌ دقيقةٌ كخيوط العنكبوت، شعرَ كلُّ أخٍ بالخطر وهو حبيسُ غرفته الصغيرة، نظرَ إلى جدرانه الداخليَّة التي بناها بيديه، والتي منحته شعورًا زائفًا بالاستقلال والأمان، وأدركَ الحقيقةَ المُرَّةَ: هذه الجدرانُ لم تكن تحميه، بل كانت تمنعُهُ من مساندة إخوته، وتمنعهم من مساندته، كانت فواصلَ ضعفٍ، لا قلاعَ قوة.

في ظلمة الخوف، سمعَ صوتًا خافتًا، أنينًا مكتومًا يأتيه من خلف الجدار، ثم سمعَ صوتًا آخرَ من الجهة الأخرى، كانوا جميعًا خائفين، كانوا جميعًا وحيدين، جميعهم يدركون الآن أنَّ بيتهم الكبيرَ، بيتَ أبيهم وجَدّهم، يحتضر، وأنَّ موتَه سيعني موتهم جميعًا، لم يكن هناك عدوٌّ في الخارج أقوى من العدوّ الذي زرعوه بأيديهم في الداخل.

هدأت العاصفةُ مع بزوغ الفجر، تركَتْ خلفها بيتًا مُنهَكًا، مُثقَلًا بالجراح والشّقوق، لكنّه لم يسقط بعد، سادَ صمتٌ طويل، أعمق من صمت الليل، لم يكن صمتَ سلامٍ، بل كان صمتَ ترقُّبٍ وحيرة.

ثمَّ في قلب ذلك السكون، سُمِعَ صوتُ احتكاك حجرٍ بحجر، صوتٌ بطيءٌ، متردِّدٌ، كأنّه لا يقوى على الفعل، في أحد الممرّات المظلمة، كانَتْ يدٌ ترتعش، تُحاولُ أن تقتلعَ الحجرَ الأوّلَ من جدارٍ فاصل، لم تكن تعرفُ ما إذا كانَتْ ستجد خلفَه يدًا أخرى تساعدها، أم ستجدُ فراغًا أبديًّا، ووجهَ أخٍ غريبٍ نسيَ ملامحَ أخيه تمامًا.

# أثرٌ لا يُرى

مسلم محمود النباهنة

نَمُرُّ في هذه الحياة كما تَمُرُّ الريح، خفافًا في الظاهر، عابرين فوقَ تفاصيل الأيّام دون ضجيج، لكنّنا في الحقيقة نترك خلفنا ما لا تلتقطه العيون ولا توثّقه الحواس. إنّها فلسفة «الأثر الخفيّ»، ذلكَ الخيطُ الرّفيع الذي نغزله في أرواح الآخرين دون قصد، ويسكنُ في زواياهُم المُهمَلة، كلمةٌ قيلت في لحظة هشاشة نفسيّة، فكانت بمثابة قارب نجاة، أو صمتًا طالَ أكثرَ ممّا ينبغي، فصارَ جدارًا أو نظرةً عابرةً استقرّت في قاع القلب ولم تخرج منه أبدًا.

نحنُ لا نحتاج إلى ضجيج عالٍ لكي نُثبت حضورنا، فالحضور الحقيقيّ لا يُقاسُ بالصدى الذي نُحدثه على السطح، بل بمقدارِ ما نُغيّرهُ في العمق، هناك بشرٌ يَعبرون حياتنا كشهابٍ سريع، ومع ذلك يتركون فينا نُدبةً من وعي، أو يفتحونَ في عقولنا نافذةً من فهم، أو رُبّما يزرعون فينا خوفًا أو حذرًا لم نعهده من قبل.

هؤلاء هم الذين يُشكّلون هُويّتنا الجديدة دون أن نشعر، هم النّحّاتون الصامتون لملامح أرواحنا، والعجيبُ في الأثر الحقيقيّ أنّهُ لا يُعلن عن نفسه فورَ وقوعه، بل هو كائنٌ يتخفّى، يتسلّل إلى لاوعينا، ثمّ يطفو على السطح بعد حين، نكتشفه حين نجد أنفسَنا نتصرّف على غير عادتنا، أو نُفكّر بعمقٍ لم نكن نملكه، أو حين يزورنا حزنٌ مفاجئٌ لا سببَ واضح له سوى ذكرى عابرة.

إنّ هذا الأثر هو الذي يدفعنا للتغاضي عن زلّات الآخرين، أو يُحرّضنا على منح الحبّ دون مقابل؛ لأنّه استمدّ طاقته من تلك الدعوات الصادقة التي تخرج من القلوب المُنهَكة، تلك التي لا تملك سوى الرجاء.

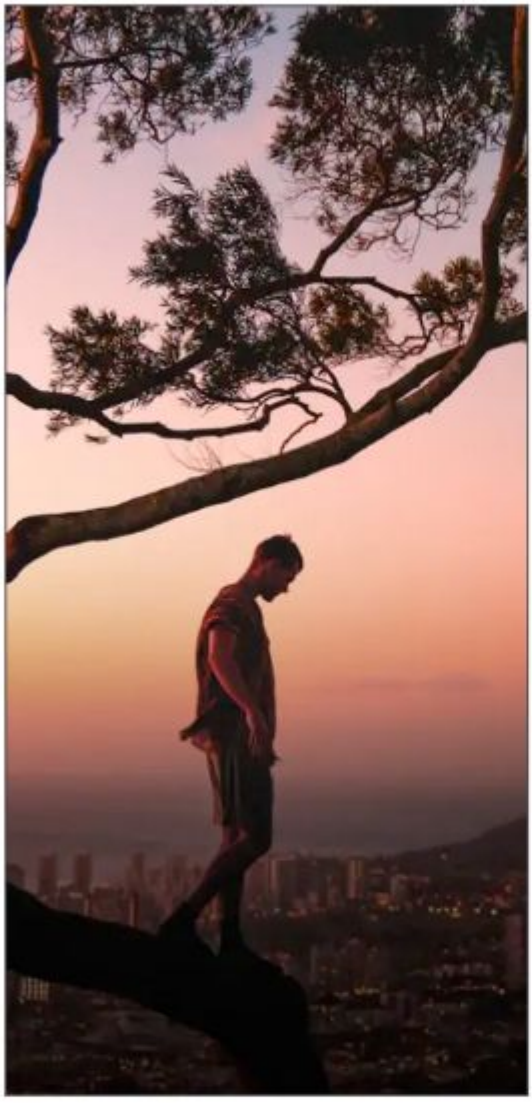

إنّ مسؤوليّتنا تجاه هذا الأثر عظيمة، فبما أنّنا سنعبر على كلّ حالٍ، فليكن عبورنا كالمطر الذي يُحيي الأرضَ بعد موتها، لا كالحريق الذي يترك وراءه الرّماد. لنتحرّ أن يكون أثرنا خيرًا محضًا، قبسًا من نورٍ يُضيء عتمة شخصٍ لا نعرفه، أو لمسة حنان تُبرئ جرحًا لا نراه، ففي نهاية المطاف لن يبقى منّا سوى ما زرعناه في صدور الآخرين من طمأنينة.

عندها فقط، حينَ يتغيّر مسار فكرة، أو ينضبط إيقاعُ قلب بفضلنا، نُدرك أنّ شيئًا ما قد مرّ من هنا وترك أثرَه، هو أثرٌ لا يُرى بالبصر، لكنّه أثقلُ من أن يُنكَر، وأصدق من أن يُمحى، وأبقى من أصحاب الأثر أنفسهم.

# وَمْضات

هدى الأحمد

(1)

في حديث عابر مع غريب، وجدتني أفيضُ بكلّ ما هو مُخبَّأ في ذاكرتي، وما إن ابتعد حتّى قرّرتُ نسيانه وكلّ ما فضتُ به، فعدتُ ورقةً بيضاء، كأنّ شيئًا لم يكن، شكرًا أيّها الغريب، فأنا لم أشعر بهذه الراحة منذُ زمنٍ بعيد.

(2)

ما من نهرٍ في قريتنا، لكنَّ روحي يغمرها نهرٌ هادئ، ما من بحرٍ بجوارنا، لكنّني تسكنني أمواجٌ هادئة تتجهّز للانفلات، وما بين النهر والبحر أصواتٌ تأخذني للبعيد.

(3)

بعضُ الكلمات تفقد قيمتها ولا معنى لها إذا لم تُقَلْ في وقتها الصحيح، الكلمةُ مفتاحٌ، استخدامه يحتاج إلى معرفة الباب الذي يُستخدَم لفتحه، قد تتشابه الأبواب، لكنَّ الأقفال أبدًا لا تتشابه، وكذلك الكلمات تختلف، لكنَّ مفعولها يكون كبيرًا إذا قيلت في مكانها الصحيح.

(4)

ما زالت الأيّامُ تعاند خطواتي، تأخذني بعكس اتّجاه فرحي، تُرى هل أنا الأنثى الوحيدة التي لا يُسمح لها بركوب سفينة تُبحر بها إلى برّ الطمأنينة؟ يا دنيا الشرق رفقًا!

(5)

مُعلَّقون على أجنحة الصبر، ننتظر أن يأتيَ الغدُ بما نتمنّى، ننظر للمرايا ونرى كيف غزت الأيّام مفرق الرأس، تحاول أن تخبر نفسَكَ أنَّ هذا الشيب لا يطيق الانتظار، تتحايل على

• لوحة للفنان عمر النجدي

نفسك، تصبغ شعرك وتقول: ما زال في العمر بقية.

(6)

في كلّ مرّة نحدّد موعدًا لنلتقي، أعود طفلةً تحتضن فستانها الجديد ليلة العيد، تنتظر الصباح بعد أن تراقب النجوم وتسألها: ماذا ارتدى؟ هل سينتبه للون فستاني الذي اخترته بلون عينيه؟ هل ستحتضن يده يدي ليزداد شغفي ونبضي؟ ما أروعَ كذبه! حين يقول: ما أجملَ عالمك!

# وألقى الرّجاءُ عصاه فاستقرَّتِ الروح

فرح بني عامر

كان الانتظارُ يومئذ سيفًا معلّقًا فوق القلب، لا يقطع ولا يُمهل، وكانت الدّقائقُ تمضي ثقيلةً، كأنّها قوافلُ تسير في صحراءَ لا ظلَّ فيها ولا ماء. جلستُ أراقب الزمن وهو يتآكل أمامي، وأشعر أنَّ الصمت أوسع من صدري، وأنَّ النفس تضيق حتى تكاد تُكسَرُ كما تُكسَرُ القربُ اليابسة في الهجير، لم يكن في المكان ما يُقال، فالكلمات في مثل تلك المواطن خيانة، والسكوت وحده يليق بما تعصف به الأرواح.

كنتُ أُخفي اضطرابي كما يُخفي البدويّ جرحه تحت عباءته، ليس لأنَّ الألم قليل، بل لأنَّ الكبرياء لا يسمح له أن يرى.

كانت العيون شاخصة، والأنفاس متقطّعة، والقلب يراوح بين رجاء يخاف أن يُسمّى، وخوف يخجل أن يُعترَف به، وكلّما طال الوقوف، شعرتُ أنّ العمر كلّه قد اجتمع في تلك اللحظة، وأنّ ما مضى من حياتي إنّما كان تمرينًا على هذا الثقل.

ثم انشقّ الأفقُ فجأة، لا برقًا ولا رعدًا، بل كلمة خرجت هادئة، كأنّها قطرة مطر نزلت على أرض عطشى منذ دهور، كلمة واحدة، لكنّها كانت أثقل من الجبال وأعذب من الغيث. عندها، لم أعد أسمع شيئًا، كأنَّ العالم كلّه صمت احترامًا لما وقع في صدري، شعرتُ أنّ شيئًا كان مشدودًا في داخلي قد انحلّ، وأنّ القلب الذي عاش دهورًا في الحذر، استدار فجأة نحو الطمأنينة كما تستدير الطيور إلى أعشاشها عند المساء.

ذلك الفرح لم يكن صاخبًا، لم يقفز ولم يصرخ، بل تمدّد في الروح تمدّد النور في الفجر، بطيئًا، واثقًا، لا يحتاج إلى شاهد، أحسستُ به يصعد من قدميَّ إلى رأسي، يغسل الخوف عن أضلعي، ويعيد ترتيب الفوضى التي خلّفها القلق، كان فرحًا نقيًّا، يشبه فرح من نجا من العطش ولم يجد غير السماء ليحمدها.

في تلك اللحظة أدركتُ أنَّ الإنسان لا يُقاس بما يملك، بل بما يخاف أن يفقد، وأنّ المحبة إذا عظمت صارت امتحانًا، وإذا اشتدّ الامتحان انكشفت معادن القلوب. عرفتُ أنّ بعض الأفراح لا تُشبه غيرها، لا تُهدى ولا تُشترى، بل تُمنح كعطيّة سماويّة بعد طول صبر؛ لتُعلّمنا أنَّ الرجاء -وإن طال احتباسه- لا يموت.

خرجتُ وأنا أشعر أنّ الأرض أخفّ تحت قدميَّ، وأنّ السماء أقرب إلى رأسي، وأنّ الدعاء الذي كان حبيس الصدر قد وجد طريقه أخيرًا إلى الإجابة. لم أضحك كثيرًا ولم أبك، لكنّي حملتُ في داخلي يقينًا جديدًا: أنّ الله حين يُرضي القلب، يُرضيه دفعة واحدة؛ حتى يعوّضه عن كلّ ما ارتجف فيه سابقًا.

وهكذا بقيتُ أمشي وفي صدري نشيد

صامت، لا يسمعه غيري، نشيد يقول: إنّ بعض اللحظات تُعيد الإنسان إلى نفسه، وتُعلّمه أنّ الحياة مهما قست، لا تزال قادرة على أن تُربّت على القلب وتقول له: لقد نجا ما تحب، فاهدأ.

ومع ذلك، لم تكن النجاة نهاية الحكاية، بل بدايتها الخفيّة، إذ ما إن يهدأ القلب حتى يبدأ بفهم ما مرّ به. أخذتُ أستعيد الانتظار لا بوصفه عذابًا، بل لكونه امتحانًا صامتًا صقل الروح كما تصقل الرياح وجه الصخر، حتى يغدو أصلب وأصفى، أدركتُ أنّ القلق لم يكن عدوًّا، بل معلّمًا قاسيًا، دلّني على مواضع ضعفي، وعرّفني بحدود احتمالي، ثمّ تركني أقف على الضفّة الأخرى أكثر اتّزانًا، كمن عبر واديًا موحشًا فعرف قيمة الأرض المستوية بعده.

ثمّ أحسستُ أنّ للطمأنينة ثقلًا لا يقلّ عن ثقل الخوف، لكنّه ثقل يُحتمل، ثقل يُسكَن ولا يُقاوَم، سكنتُ في داخلي كما تسكن النار في الجمر، لا لهب يلسع، ولا دخان يخنق، بل دفء خفيّ يبعث على الثبات، صرتُ أنظر إلى الوجوه والأشياء بعين أخرى، عين لا تتعجّل الحكم، ولا تُسرف في التعلّق؛ لأنّها تعلّمت أنّ كلّ ما يُخيفنا بالفقد إنّما يُعلّمنا سرّ القيمة.

وتبيّن لي، في هدوء تلك الخلاصة، أنّ الصبر ليس انكسارًا مؤجّلًا كما يظنّ المتعجّلون، بل شجاعة طويلة النفس، تُمارَس في الظلّ ولا تطلب تصفيقًا. هو وقوفٌ أعزل أمام المجهول، مع الإيمان أنّ للغيب حكمة لا تُرى إلّا بعد أن تنجلي العاصفة، هنالك فقط يفهم المرء أنّ ما تأخّر لم يكن عقابًا، وأنّ ما تألّم لم يكن عبثًا، وأنّ لكلّ دقّة في القلب معنىً يُستخرج بعد حين.

ولهذا، مضيتُ أحمل تلك اللحظة لا كتذكار فرح عابر، بل كعهد داخليّ، أعود إليه كلّما داهمني الشكّ، عهد يقول: إنّ القلب الذي صبر مرّة، يستطيع أن يصبر ألفًا، وإنّ الرجاء الذي نجا من سيف الانتظار، لا يُقتل بسهولة.

هكذا صارت الخطى أرسخ، والنظرة أبعد، والروح أقلّ ارتباكًا؛ لأنّها ذاقت طعم الفرج بعد المرارة، وعرفت أنّ ما يُكتب لها لا يخطئ طريقه، مهما طال الالتفاف.

# وجعٌ بلا شهود

رنيم العمري

في لحظة صمت، كنتُ أظنّ أنّني وحدي، لكنّني على يقين بأنّني لستُ وحدي... سمعتُ صوتًا خافتًا، لم يكن نبض قلبي، ولا نغمة عقلي، كان شيئًا آخر جديدًا في داخلي، يشبهني كثيرًا ولا يشبه شيئًا سواي، صوتًا لا يُطال بالحبّ، أو مجرد التفكير فيه، ولا يريدني أن أجهد عقلي أو أكسر قلبي، كان يأمرني أن أسمع فقط.

لا أعرف لمن يكون! لكنَّ صاحبه قال لي ما لم أجرؤ يومًا على البوح به أو التصريح عنه بالكتابة، قال لي: «أنت لا تبحثين عن أحد، أنت تبحثين عن نفسك».

قلت له: «أنا تائهة ولا أعرف الطريق».

فأجاب بصدق موجع: «بل أنت هاربة من شعور لم يكتمل، وقلب لم يهدأ، وعقل لا يصمت، وخوف لا يرى».

وكلّما حاولتُ الهروب من الداخل، ظهر الصوت ذاته بحدّته وخشونته، يُذكّرني بأنّني لم أواجه نفسي بعد... أقسمتُ أنَّ هذا ليس ضعفًا منّي، بل لأنّني متعبة، فقال بهدوء: «مُتعبة؟!».

«نعم متعبة من الصراع، وخائفة من اكتشاف حقيقة أنّني سبب كلّ هذا الألم».

ردّ مواسيًا: «أنت لست ضحيّةً ولا قاتلة، بل أنت حقيقيّة بشكلٍ مخيف».

أصابني الصمت، فقد عرفتُ صوته، كان صوت الطفولة التي تبكي دون خوف، وتتحدّث دون تردّد، وتُصحّح دون تبرير، وتضحك دون تفكير، وليس لها اهتمام كيف تبدو.

سألني معاتبًا: «هل تذكرين متّى كانت آخر مرّة أحببتِ فيها نفسَك بصدق؟».

فاضت عيناي بالدموع، فلم أجد جوابًا... اقترب، ربت على كتفي هامسًا: «جئتُ لأشعلَ محبّتك لذاتك».

كان يعرفني... كان يعرف نقاط ضعفي: وحدتي، حماقاتي، انكساراتي، حنيني لأشياء لم أعُدْ أمتلكها، ومع ذلك لم يحاكمني، لم يقل لي: «كوني قوية»، بل قال: «يحقُّ لك التعب، ويحقُّ لك الشعور».

في تلك اللحظة فهمتُ أنَّ هذا الصوت لم يكن أحدًا، ليس نصيحة أو ذكرى، كان أنا بكلّ تجرّد... أنا حين أكون صادقة مع نفسي بلا خوف أو أقنعة، أنا حين لا أكون القلب أو العقل، بل الإنسان الذي سكن وجداني لفترة طويلة.

وأخيرًا، بدأتُ أسمع ذاتي من خلاله كإنسان محض: «النّدم لا يُعيد الزّمن، لكنّه يُعيدك إلى ذاتك».

# سعادةٌ خافتة

بسمة نعيم

كان يُلمّع النحاس الأصفر البارد للأسطرلاب، بيدين تعرفان كيف تروّضُ المعدن، يدين قَضَتا عمرًا في تحسّس شقوق المخطوطات، واستنطاق صمت الفخار، وإزالة الغبار العتيق عن وجوه التحف. كان ملكًا في مملكته الخاصة، في صومعته التي بناها من كنوز الآخرين، جدران لا ترى النور، تصطفّ عليها خزائن زجاجيّة تضمّ حَيَوات لم يعشها.

سيوفٌ فقدت بريقها ورونقها، وأقلامٌ جفّ حبرها بعد أن خطّت مصائر أمم، وخرائطُ لأراضٍ ابتلعها البحر، كان كلّ شيء هنا شاهدًا على انتصار ما، على خلود استُلِبَ من فم الفناء، وهذا الأسطرلاب، دُرّة التاج، كان انتصاره الأخير، قطعةً فلكيةً معقّدة، كونٌ مُصغَّرٌ من نقوش ودوائر، تَعِدُ بفهم حركة الأفلاك، وبمنح وهم السيطرة على ما لا يُسيطر عليه.

مرّر إصبعه على أحد نقوشه الدقيقة، وشعر بتلك الرجفة المألوفة، رجفة الصيّاد الذي حاز طريدته الأثمن. سعادةٌ باردة، دقيقة، تشبه دقّة الأداة التي بين يديه، سعادةٌ تُقاس وتُوزَن وتُعرَض، لكن، ومن أعمق بئر في الذاكرة، تسلّلت رائحةٌ غريبة، رائحةٌ لم تكن تنتمي إلى هذا المتحف الخانق.

أغمض عينيه للحظة، فرأى (ليلى)، كانت تقف عند باب الحديقة الخلفيّة، تلك الرقعة من الأرض التي أهملها طويلًا، كانت تحمل في كفّها زهرة ياسمين واحدة، بيضاء، كأنّها نجمة ضلّت طريقها وسقطت على الأرض بالخطأ.

نادته بصوت كاد يبتلعه صريره وهو يرمّم غلاف كتاب عتيق: «عادل، انظر، لقد أزهرت أخيرًا». لم يلتفت، أومأ برأسه إيماءةً خفيفة، إيماءةً تُبعِدُ المُشتّتات، وتُبقي التركيز على ما يهمّ، على ما يبقى. سمع باب الحديقة يُغلَق برفق، وعادت رائحة الورق القديم والجلد لتهيمن على الهواء.

في ذلك اليوم لم يكن يرى سوى الكتاب، لم يكن يشمّ سوى غبار قديم يحكي قصص ينبض لها فؤاده، أمّا الياسمينة، فقد ذبلت في يدها، ثمّ في ذاكرته، حتى هذه اللحظة. فتح عينيه فجأةً، كأنّما لدغته أفعى، نظر

إلى الأسطرلاب في يده، ما قيمة قياس حركة نجم بعيد، وهو الذي لم يرَ النجمة التي أزهرت في حديقته؟

عاد إلى عمله بآليّة مُتصنّعة، حركة التلميع، الدوران البطيء للقطعة النحاسيّة، الطقس الذي طالما منحه السكينة، صار الآن فعلًا عصابيًا، محاولة يائسة لترميم شرخ داخليّ لا يراه أحد، لكنّ الشروخ كانت تتّسع، سمع صوتًا آخر، ضحكة مكتومة تأتي من الماضي، ضحكة ابنه الصغير وهو يركض نحوه بورقة رسم عليها شمسًا بأشعة معوجّة، ويطلب منه أن يصنع طائرة ورقيّة، «طائرة تصل إلى الشمس يا أبي».

كان يومها يفاوض تاجرًا هولنديًا عبر الهاتف، يساومه على ثمن ساعة جيب تعود إلى القرن السابع عشر، أشار إلى ابنه بالانصراف، بيده التي لم تكن تمسك الهاتف، وعده بيوم آخر، بيوم سيأتي حتمًا حين ينتهي من بناء هذا المجد الصامت، لم يأتِ ذلك اليوم أبدًا، كبر الصبيّ، وتعلّم أن يصنع طائراته الورقيّة وحده، ثمّ تعلّم كيف يطير بعيدًا، بعيدًا جدًا عن سماء أبيه.

شعر عادل ببرودة النحاس تتسرّب إلى عظامه، نظر حوله لمملكته، لم تَعُدْ تبدو كمملكة، بدت الآن مقبرةً فخمة، ضريحًا لرغبات لم تكن يومًا له، هذه المقتنيات التي ظنّها امتدادًا لذاته، كانت في الحقيقة بديلًا عنها، لقد جمع أصداء حَيَوات الآخرين، بينما كان صدى حياته هو الذي يبهت في الغرف المجاورة، كان يشتري الزمن المُعبّأ في زجاجات وأُطر، ويبيعه من وقته هو، من وقتهم هم، الجدران التي أحاط نفسه بها لتحميه من تفاهة العالم الخارجيّ، كانت هي ذاتها التي عزلته عن معنى وجوده.

وضع الأسطرلاب على الطاولة المخمليّة بعنف مكتوم، دقّات الساعة العتيقة في الزاوية، التي كانت تبدو له نبض الأبديّة، صارت الآن أشبه بمطرقة قاضٍ يُعلن حكمًا نهائيًا، كلّ دقّة كانت تطرق مسمارًا في نعشّ فرصة ضائعة.

ما السعادة التي كان يبحث عنها؟ سعادة التملّك أم سعادة الفهم؟ لقد امتلك وفهم أشياء لا حصر لها، لكنّه لم يفهم يومًا لغة زهرة ياسمين، ولم يمتلك لحظةً حقيقيّةً يصنع فيها طائرةً ورقيّة، لقد بنى حصنًا من ذكريات دفينة، بينما كانت الحياة بكلّ فوضاها وعفويّتها وجمالها الهشّ، تنبض خلف الباب، وتنتظر أن يُفتَح لها.

امتدّت يده، لا إلى تحفة نادرة، بل إلى حجر أملس صغير كان يستقرّ على حافة المكتب منذ سنوات، حجر نهريّ بسيط لا قيمة له، كانت (ليلى) قد وضعته هناك بعد نزهة نادرة على ضفّة النهر، يومها ضحكت وقالت: «هذا كيلا تنسى أنّ العالم أكبر من غرفتك». يومها، نظر إلى الحجر بصفته مجرّد شيء يحتلّ مساحةً كان يمكن أن تُخصَّص لشيء أثمن.

الآنَ أمسك الحجر في راحة يده، لم يكن باردًا كالنحاس، بل احتفظ بحرارة دفينة، أطبق عليه أصابعه، وشعر بثقله الحقيقيّ، ثقل الجبل الذي بُتر منه، لم يكن مُجرّد حجر، كان يومًا مشمسًا، وصوتَ ماء جارٍ، ويدًا دافئة في يده، كان حقيقةً بسيطة في مقابل كلّ هذا الزيف المُنمّق.

نظر إلى مقتنياته الثمينة، إلى الأسطرلاب الذي يعكس وجهه الشاحب، إلى السيوف التي لم تَعُدْ تقاتل، إلى الخرائط التي لا تقود إلى أيّ مكان، رأى للمرّة الأولى الفراغ الهائل الذي تملؤه، الفراغ الذي صنعته.

نهض ببطء والحجر الصغير ما زال في قبضة يده، اتّجه نحو الباب، ذلك الفاصل الخشبيّ بين عالمه الصغير الخاصّ، والعالم الآخر الذي لم يَعُدْ يعرف عنه شيئًا، وضع يده على المقبض، وتردّد، لم يكن يعرف ما الذي ينتظره في الخارج، ربما لا شيء سوى الصمت، ربما بقايا حياة يمكن إنقاذها.

فتح الباب قليلًا، تسرّب خيط من نور المساء الباهت إلى الداخل، حاملًا معه صوتًا خافتًا، ربما صوت المطر، أو صوت التلفاز في غرفة الجلوس، لم يخرج، ظلّ واقفًا هناك على العتبة، قابضًا على حجره، ينظر إلى ذلك الضوء كأنّه يرى الشمس للمرّة الأولى.

سعادةٌ ما، خفيّةٌ وموجعة، بدأت تتشكّل في صدره، سعادة أن تعرف ما الذي أضعته؛ لأنّ في تلك المعرفة تكمن البذرة الأولى لكلّ شيء آخر.

# منطقةُ (واحد وخمسين)

بشرى البدارين

ذاتَ ليلة باردة على القلب في مُنتصَف اللَّيل، مُغامرةٌ شيّقَةٌ، ها قد تهيّأتُ أخيرًا لذلك، معي المعلومات الكافية الّتي ستَدُلُّني إلى الطّريق، ولا أحدَ سَيُضايقني هناك، ستحينُ فرصتي في الاستكشاف.

صوتُ البومة يتّجهُ من اليسار، وأنا أمشي بقلب رقيق، أدّعي أنّني القويُّ، لكنّ ملامحي وقُوَّتي لا تعنيان ذلك، أحاول التّسلّلَ إلى معلومة أخرى يمكن أن تُفيدَني عن طريق الهاتف المحمول، لكن لا إشارةَ مُرضية، ترتجف أنامل يديَّ، وأتلفّتُ يمنةً ويسرةً، تجرّأتُ وقلتُ بصوت واضح مسموع عالٍ: «هل من أحد هنا؟»، لكن لا إجابة.

ازدردتُ ريقي بصعوبة، وبدأتُ بالبسملة والاستعاذة من الشّيطان، تقدّمتُ إلى البوّابة، بوّابة مُكتظّة من كلّ جهة بلوحات مُحذّرة من خطر الدّخول إلى ذاك المكان. زاد الفضولُ والخوفُ عندي، فتقدّمتُ خطوةً أخرى، وإذ بهلوساتي تبدأ بالتّعالي، كدتُ أتوقّفُ وأصرخُ بأعلى صوت وأنا واقفٌ صامدٌ صلب، لكن لا جدوى، مجرّد نظريّة فاشلة من وحي خيالي الأحمق.

مع كلّ خطوة أتقدّم فيها، كأنّني أعُدُّ أيّامي القليلة في هذه الحياة، سمعتُ صوتَ سنجاب من أعلى الشّجرة، فأفزعني حقًّا، ألقيتُ نظرةً أخرى، لكن لا سنجاب هنا، توقّفتُ قليلًا، وظننتُ أنّه ليس بوسعي إكمالُ طريقي وأنا بكلّ هذا الوَجَل، فقرّرتُ العودةَ في الصّباح، لعَلّي أتجرّأ.

وخلالَ انسحابي من معركتي غيرَ مغلوب ولا مُنتصر، سمعتُ مُناجيًا من خلفي، وإذا بالسّنجاب يتلوّى على الأرض في منتصف الطّريق، يلفظُ أنفاسه الأخيرةَ على مقربة من قدميَّ، كنتُ في غاية الانبهار! بقيتُ أترقّبُ بصمت كيف تخرجُ روحه وأنا مصدومٌ من منظره، توقّف عن الحراك في المنتصف.

لقد حزنتُ عليه قليلاً وأنا أتمعّن تفاصيلَهُ، على أمل استيقاظه ولو بحركة بسيطة منه، وإذ بضوضاء وجَلَبة على بُعد عشرة أمتار منّي، خطوات قليلة، ثمّ طويلة، ثم ركض، توقّفت في المكان الذي تأكّدتُ أنّ الصوتَ آتٍ من ناحيته، وإذ بي أتراجعُ خلف الأشجار، أترقّب بصمت عجيب من هول المنظر، كأنّني دخلتُ إلى العالَم الآخر ولو لوهلة.

الأصواتُ تتعالى من هنا وهناك، جنود وعساكر في كلّ مكان، قائد صارم تظهر على ملامحه قسوةٌ لا ترحم أحدًا، وطائرات عجيبة، وأضواء مُسلّطة على كائنات أظُنُّ أنّها من الفضاء! نَعَمْ، إنّه شيءٌ مستحيلٌ على كوكبنا، إنّه هُراء في المنطق، لكنّ ذلك ما رأيت.

إنْ لم تُصدّقوني، فبإمكانكم التأكّد عن طريق زيارة خفيّة للمكان ذاته، كما فعلتُ أنا تمامًا، فقط اذهبوا إلى (نيفادا) في ولاية كاليفورنيا، وبعد ذلك لا أذكر شيئًا سوى أنّني رأيتُ نفسي نائمًا على رصيف الطّريق السّريع كأنّني جُثّةٌ مُهترئة.

وكلّما أُحدّثُ أحدًا عن ذلك الموقف أتذكّرُ أنّني في مستشفى الأمراض العقليّة، لكنّني لستُ كذلك، فهل تُصدّقونني؟

# ظِلالُ عمّان

سماح موسى

قبل أن تصدح عمّانُ بالظّلال، أتمّت (حليمة) تنظيف الحمّام، وضَبت أغراضها، وأزالت العرق العالق، تنوء بخطواتها، تتأمّل الساحة الهاشميّة، يغمرها الغروب، فتنزلق الأضواء على نسوة يُلفّفنَ رؤوسهنَّ بخُمرٍ أنيقة، وأخريات يفردنَ شعورهنَّ للغيم.

تنكمش، تُصلح طاقيتها، وتواري تحتها خصلات مغبرّة، تتلمّس حبَّ الشّباب وهي تلمح امرأة تعانق يد رجل يضحك، تصطدم بها، تعتذر، فتردّ: «ولا يهمّك يخوي». راحت تتقبّل شيئًا فشيئًا أنّها تشبه الرجال، ملابسها، مشيتها، طاقيتها، وجهها الذي تخفيه. مع هذا، أصابها ارتداد حلم يُدفن، لم تستطع أخذَ نفَسها، فهرولت نحو بيتها في (جبل الجوفة).

فتحت الباب في نهاية درج تصعده كلَّ مساء، ما إن أغلقته، حتى سقط مع بقايا أتربة، أسندته ودخلت غرفتها الوحيدة، صنعت (الأندومي)، وأكملت تحاور رفيقها:

- «كيف حالُك اليوم؟».
- «دعكِ منّي، هل دفعتِ الإيجار؟».
- «لم أستطع بعد».
- «جدي عملًا آخر».
- «لا يمكن، أعرف ما تفكّر به».
- «إذن ماذا ستفعلين؟».
- «لا شيء».

كان لصدى اللاشيء وقع يجوب المدينة، تنفّسته غافية، لا تنتظر حلمًا ولا هدية. بعد ساعات، زمجر صوت غليظ، ركل الباب، فسقط يحاذيها، قامت جاحظةً، توسّلت إليه، وعدته بدفع الإيجار، لم يُصغِ، هاجمها، ثبّتها في الأرض، أغلقت الستائر، اسودّت الكواليس، وماتت الجماهير حين غادر.

ابتلع نحيبها الزمن، شهدت عليه درجات تلوح من الفراغ، ذبل العشب في عينيها، خرجت تعاينُ بنايات تلاصق النجوم، ظهر رفيقها فجأة، لمحت في سواده وقفة عرجاء، ما إن مدّت يدها، أطفئت الأنوار، فتبخّر مع عبراته. أفاق الفجر على نداء يلاحق مغادرًا لا يعود، قادتها قدماها إلى الساحة أمام بائع الترمس، وصغار يركضون وسط آبائهم، تقلّص المدرّج الرومانيّ، وتبدّل الناس حتى صاروا ضبابًا، كانت (حليمة) لا تشاهدُ سوى ظلال تخرجُ من بطنها المتكوّر، تُمَدّ نحو عمّان، وتشاركها في النحيب.

# العينُ بئرٌ للمحظوظ

حلا السويدات

# العينُ بئرٌ للمحظوظ

حلا السويدات

كان القلق صدحًا مزعجًا في العينين، فكانتا تنظران إلى الباب الموصد، كأنَّ ما وراءه سحب كلمات فاتنة، تُنبئ عن سرّ غيبيّ عليه أن يرتسم، إمّا بالخيال المُجرَّد أو بالتزيين المفرط مجهول المصدر، كلّ ما يمكن أن يرتسم عليه أن يكون لافتًا لغةً أو تخييلاً بالصورة، ونسي ربما في غمرة دهشته للفتاة الصغيرة أن يتّسق بالمنطق، ممّا جعلها تعرف كيف تكون الأشياءُ مُتّسقةً على غير صورتها، فَتُتاح لها الإمكانات لأن تصبح معروفة غير مألوفة وغير مستقاة من كتب، يُشار إليها بالبنان بوصفها أمهات توثّق المعرفة الزمنيّة المتراكمة بصورة منهجيّة.

كان البصرُ بوّابةً للمعرفة ولتعيين نمط مُتمرّد من الحقيقة، لا يمكن لأحد ما قبل ذلك أن أعدّه في كتاب، فهي المعرفة البصريّة التي يُتيحها التخييل المُجرَّد، اللذيذ، المستحيل، الذي ينزل ليلاً في الذاكرة على استحياء معشوقة، ويتمظهر في شمس النهار، كأنّه وليدٌ من الرَّحم الأسبق والأزليّ للتجربة المُتاحة بالتعيين.

طمحت الفتاة، وتجلّى طموحها ليلًا في عيني مارد يحمل الأسرار، ينظر من سقف الغرفة العالي، ويفرش الممكن بنظرة طويلة لا تقطع خلوتها إغماضة، مارد من لغة مبكّرة وحروف غير مفهومة، لا تؤمن إلّا بالتجربة الموازية للمرئيّ.

كبرت الفتاةُ مع تخييل مواز، يتجسّد في مفاصل الواقع، ويصرّ على جَرّ العاديّ والممكن لمحاولات المجاز في أن يغزو الوعي المباشر والمحسوس، فصار الوعيُ وعيين يترافقان في الحدس، ولكلّ واحد منهما طريقته، ولونه، وعجينه التي يرتّب بواسطته المعرفة المُمكنة.

كان ذلك قبل أن تتعرّف الفتاة للمعرفة المُوثّقة والمكتوبة، التي لا يمكن أن يتمكّن منها إلّا قارئٌ حصيفٌ يؤمن بوجود الأوّلين ممّن عاينوا كثيرًا المعنى، وآمنوا أنّ له سقفًا أعلى من موجدات الحقّ والحقيقة، فكانت القراءةُ البوّابةَ الأولى التي تدمج الأزمان ببعضها بعضًا، ضمن لغة مُنظّمة، لا تشبه نافذة الغرفة العالية التي تستقبل النظر الطويل والثابت والممكن لعالَم مواز ليس فيه إلّا عرج واضح للغة المنطق، الذي يصوّر الأشياء تخييلًا صرفًا لا يَعبُه إلّا النصّ الأدبيّ.

كان ما يتّسق بغير قدرة الحرف والمنفلت منه تصويرًا، لا يتقيّد إلّا وقد جسّدته لغة الأوّلين، بمعجمها اللذيذ المتناقل، وبشروطها المعقوفة على الخيال، سيبدو من الغريب أن يبدأ تكوين الفكرة من نفسها، وألّا تكون اللغة هي البوّابة الأولى لمعاينة الممكن، بالنسبة لكاتبة تَعُدّ نفسها قادرة على الشدّ والمدّ، ونقل ما استحالَ نقله، والإشارة إلى ما غمُض في الأشياء، والترجل عن صهوة الصمت أمام المدهش والمستحيل وغير المفهوم.

بالنسبة لها سيكون غريبًا أن تعترف بأنَّ منطلقاتها كانت من تجربة الطفلة في المعاينة الخياليّة التي أتاحت لها استقبال الإشارات المعرفيّة، من موروث بصريّ خاصّ، متشكّل من مادة عينيّة تفوق مادتها الواقع الملموس، وهو ما جعل السيفَ حقيقة تقطع رؤوس الناس المزعجين، المرتّبين حسب فرق الطول، سيفًا حقيقيًّا، ويقضي الغاية النفسيّة من الثأر.

كان كلُّ ذلك متاحًا وخاصًّا، لا يعرفه أحد، ولا حتّى طلاب المدرسة المزعجين والعاديّين، إلى أن أتى اليوم الذي قرأتُ فيه مجموعة جبران خليل جبران، والمقامات العباسيّة، وأنا بعدُ لم تنبت أظفاري بشكل يلزم ويكفي للكتابة، ما أتاح لي معرفة التكوين المعجميّ المُعقّد والعالي، لمعنى لم يبدُ وقتها مفهومًا، ولم تُسعفه تجربة الاحتجاج الحقيقيّة على معانٍ كانت أكبر من وعيي آنذاك، ولم تكن تتّسق إلّا بالطريقة القديمة الموازية لتكوين طفولتي، أن تتجسّد في بصري الموازي على هيئات مقبولة قادرة على إسقاط المرآة الشريرة في جيب من الخيش، كبير، ويسعها بفوضى ظنونها ونواياها السيئة.

لكنَّ الانتقال إلى الفهم من خلال القراءة والكتابة، والمناقشة والجدل، والمساءلة في مجادلة المعلّمات على فوضى المعرفة المُجزّأة، كان ملائمًا لأن يكون مقدّمةً جيّدةً لبدء سيرورة كتابيّة يمكن أن ينال منها الآخرون، بالقراءة والاستماع لما تكتبه هذه الفتيّة.

لا أنسى المرّة الأولى التي صعدتُ فيها لمنصّة البيت الأدبيّ، لمديره ومؤسّسه أحمد أبو حليوة، لم يكن لديَّ شيءٌ شخصيّ أحدّثهم عنه، كلّ ما قدّمته آنذاك كان نصًّا متمرّدًا على قواعد الكتابة، وأسميته جرأةً، قصّة قصيرة، كانت قصةً كما أراها وكما أردت لها أن تكون بأسلوبي الخاصّ، وبتطويعي الخفيّ لشروطها المعروفة.

كنتُ أمتلك جرأةً زائدةً عن الحدّ، وغرورًا مبكّرًا في استعمال معجم تصويريّ ولغويّ لا يشبه

أحدًا، لم أكن أعترفُ وقتها بلزوم الأدب أن يقدّم محكيّةً، بل عليه أن يكون قادرًا على نقل المعاينة الخياليّة لمعاينة لغويّة بالقدرة نفسها، دون أن تقال، حتى إن غمض المعنى لا يهمّ. ولم أكن وقتها قد تعرّفت على مأثورة أبي تمّام التي ارتكز عليها أدونيس -كما درستُ لاحقًا- في تبرير الغموض في المعنى؛ أي لماذا لا تفهمون ما يقال؟ لماذا هذا العبء في عدم القدرة على تلقّي التجربة الأدبيّة بمجاراة خلقها، ولسبر أغوار اللغة سبرًا كافيًا للتلذّذ؟!

لم يَطُل الوقتُ بعد تجربة الكتابة العلنيّة، إلّا وقد اختَرت اللغة العربيّة مكانًا يمكّنني من إثراء تجربتي الحدسيّة، فشعرتُ أنَّ الممكن فيها يظلّ مغلقًا في أيدي أساتذتها، كان شرطي الذاتي أن تستطيع هذه المعرفة استفزاز ما لديّ من شغف، ولم أكن أقبلها مليئة بالغبار وبتصوّرات أكاديميّة بسيطة تُعلّم المدهش دون أن تكون قادرة على مجاراته في دهشة مغايرة وخلّاقة، فانكفأتُ على تفريغ الثقل التقليديّ بالتعرّف على الكتب الفلسفيّة ومناقشتها، وإثراء فضولي غير المشروط، فتعلّمتُ كعادتي في اختراع طرق موازية في سبيل تعلّم مواز، من خلال القراءة الحرّة.

لا أنكر أنَّ أكثر مواجهة كانت مربكة بالنسبة لي، هي المواجهة مع المنهج الأكاديميّ، فتجربتي الإبداعيّة كانت تُنتج نصوصًا منفلتة من القواعد، وكنت أؤمن بقدرتي على تأسيس المعنى، وبانكشاف

الحُجب انكشافًا يكفي لتحقق الغايات دون درس القواعد والسّبل، فكانت قاعات التدريس تضيق بي، وبخيالي، وبتمرّدي، وكان هذا صدامًا يجعلني أرضى بيني وبين نفسي عن طريقة أسميتُها الطريقة الخاصة، التي لا تتشكّل ضمن قواعد مسبقة، فكان وقت الدرس ضائقًا بزمني غير المسوك بين أصابعي، فأنا فوق الغيم أهيم، وبلاط الأرض كان ينخر باطن القدمين، فكيف يمكن لسبيلي أن يوصلني بثبات لمن يعرض نفسه ثابتًا غير منزوع النوى، يؤكل بلقمة واحدة دون مضغ وتذوّق.

ربّما بدأت مشكلتي الحقيقيّة بإلزامي أن أكون منهجيّة بحُجة الشخصيّة الأكاديميّة، وضرورة توجّهي للبحث العلميّ. دخلتُ هنا في صدام حقيقيّ لم أدرك أثره إلّا لاحقًا، من باب تحدّي أنّي لا أستطيع، وهكذا انقلب عجين لغتي، من الخيال غير المشروط، الذي استطاع في مرحلة الصبا أن يتشكّل بين أصابعي لغةً مُمكنة، إلى قوالب لا تنكفئ إلى الذاتيّ، ممّا جعلني أمام أساتذتي ناقدةً تمتلك أدوات النقد، ومن اللازم بالنسبة للقارئ أن تأتي هذه الجملة على سبيل الفخر لا على سبيل الحسرة، فربّما لم أكن ما أريده أن أكون، ذات أدوات مستقاة وموحّدة. ولا أنكر أنّ هذا الترويض قد أتى ثماره لاحقًا عندما أكملتُ دراستي العليا، ففي مرحلتها الأولى كان لزامًا عَلَيّ أن أقرأ الشعر الحديث -وهو ما تمسّكتُ به- قراءة المؤوّل غير المرتاب في نفسه، والقادر على وعب الشطحات والغموض والتخييل العالي، دون أن يجاريه في نصّ موازٍ أو نصٍّ مبنيّ عليه، فكان قاسم حداد، هذا الشاعر الخصب، موضوعًا لدراستي الأكاديميّة، وكان أدونيس مجالًا نظريًّا، وكنتُ بينهما أفهم وأؤوّل وأصوغ بلغة أكاديميّة قدر الإمكان، لم يرضَ عنها الأكاديميّون رضًا كاملًا، إذ إنّني لم أعرف كيف يكون الأكاديميّ كذلك بشكل تامّ ومتكامل، مهما كان ذكيًّا.

ربّما ما أقضّ مضجعي، كثرة التشذيب

للأجنحة، كلّ ذلك كان زائدًا عن الحدّ، هذه اللغة الصلفة التي جعلتني عالقةً في برزخ الأعراف، جعلتني بين البينين أكثر ممّا ينبغي، لم أستطع أن أتراجع خطوةً نحو ذاتي المتمرّدة، ولم أستطع الإقبال أكثر نحو غموض الشعراء الحداثيّين، إذ لم أكن أجاريهم في خلق موازٍ يُرضيني، فكيف يمكن أن أقرأ نصوصَ الآخرينَ بالتأويل اللازم الحصيف، وأن أكتب في الوقت نفسه ما يجعلني أخلق معانيَ أخرى، تشفي التهاب الشغف المُشذَّب والمُهذَّب.

ربّما أنا الآن في مهبّ أن أسقط من منطقة الأعراف، بعد أن أقضيَ غايتي بإتمام رسالة الدكتوراة، وبعد أن أكفّ عن توزيع الابتسامات التربويّة لطالباتي الصغيرات في عملي، وأن أعود لبصري العالي، الذي تعوّد أن يهدم صورة الأشياء وألوانها وقواعدها؛ ليبنيَ صورةً أخرى، تفتح المدارك نحو المكن، بإرضاء مغرور لذات عليا، تعوّدت أكثر من اللازم أن تعتليَ منصّات الثقافة في الزرقاء وعمّان، بوصفها تقرأ أفكار الآخرين ونصوصهم، وتحاكي وتجاري النمط المعروف والمقبول من معالجة المسائل المفصليّة.

ربّما حقّ عَلَيّ أن أسأل: متى تعود لمحجريّ عيناي؟ مَنْ أفرغهما بهذه القسوة؟ مَنْ سرق تمرّدهما المُتعجرف والقادر على تبرير وجوده؟ مَنْ لم يتحمّل ألّا تظلّا موجودتين لتنظرا بالطريقة نفسها دون عبء الإلزام؟

أعيدوا عينيّ، فالمحجرُ فاضَ بفراغه.

أدبُ الفيسبوك بينَ الإبداعِ ووهمِ الكتابة — أ.د. عماد الضمور

«العابرة والبقايا» لبلقيس الفارسية.. تشظّي الذّات الأنثويّة وتحوّلات المعنى — د. مي بكليزي

قراءة في رواية (شبّاك أمّ علي) لمحمد العامري — إياد أبو ريان

الذّكاءُ الاصطناعيُّ مِنْ أجلِ الأرض — د.عاطف العيايدة

«فوضاي تعشقني» لحسن النبراوي.. تكثيف المعنى — دالية حسن حسين

ترانيمُ الأجيالِ: حينَ يحفظُ الماضي صوتَهُ في ذاكرةِ المُستقبَل — رنا غريزات

أجيالٌ وأجيال — أمل المشايخ

الشَّبابُ والهُويّةُ وصراعُ الأجيالِ في زمنِ التكنولوجيّا المفتوح — أسيل عزيزية

هل يقرأُ الكُتّابُ الكبارُ أدبَ الشَّباب — لطيفة محمد حسيب القاضي

(قادة العقول) للكاتبة الشـابّة هبة صلاح الدين: رحلةٌ فكريّةٌ في عوالمَ متعدّدة — أماني خالد الشناق

الأدباءُ الشَّبابُ والإتْباعُ الشّاذّ في العاميّة — محمد حسين الضامن

الملكُ عبدُ الله الأوّل شاعرًا — معتصم النداف

الذّكرياتُ الزّائفةُ المُشتركة... ماذا يكمنُ وراءَ ظاهرةِ (مانديلا)؟ — ترجمة : رند جميل المحمد

# أدبُ الفيسبوك بينَ الإبداعِ ووهمِ الكتابة

أ.د. عماد الضمور

يوظّفُ كثيرٌ من الشّباب في وقتنا المعاصر الفيسبوك لنشر إبداعاتهم ذات الاتجاهات الفكريّة المختلفة، وبخاصة الأدبيّة؛ انسجامًا مع لحظة تاريخيّة مهمّة تحياها البشريّة، حيث الثورة التكنولوجيّة الهائلة، وسيطرة شبكة الإنترنت على مساحات كبيرة من حياة الشّباب، إذ نجد أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ قد شكّلت خصوصيّة مثيرة للتساؤل حول أدب هذه المرحلة، وبخاصة السرد الذي اقترن بآليّات رقميّة تتجاوز الصياغة الفنّيّة إلى طريقة العرض التي ارتبطت باللغة المكتوبة، والصورة المرئيّة، والصوت العذب، والحركة السريعة، مُحقّقًا تفاعلاً من عدد كبير من المتفاعلين على صفحات الفيسبوك، وهذا يعني اختلاف آليّات التلقّي والكتابة معًا.

يعمد الكُتّاب المبتدئون إلى تأسيس جمهور من المتابعين لكتاباتهم من خلال موقع الفيسبوك الأوسع انتشارًا على الشبكة العنكبوتيّة، إذ باتت صفحات الفيسبوك فضاءً واسعًا لكتابات كثيرة، تكون بأسماء أدباء وشعراء، بعضهم يختصّ بالرواية وبعضهم الآخر جاء عابقًا بجمال الشّعر وعذوبة معانيه.

لقد حقّقت إبداعات الشّباب الكتابيّة عبر صفحات الفيسبوك رواجًا كبيرًا بين فئات الشّباب، فهي أسرع للقراءة، وأكثر وصولاً إلى الأصدقاء على الفضاء الافتراضيّ، وأقرب في لغتها التعبيريّة من أذواق الشّباب، حيث الاستعانة بالمثيرات البصريّة، والروابط التشعّبيّة؛ للإفادة من إمكانات الفيسبوك الكبيرة في الانتشار والامتداد الثقافيّ، بعيدًا عن محدوديّة الانتشار الورقيّ.

لقد أصبحت الحاجة مُلحّة إلى تلقٍّ واقعيّ لمثل هذه الكتابات، بعيدًا عن سعة الأفق في العالَم الافتراضيّ، هذه السّعة التي تبدو مقبولة عند الكاتب، لكنّها أضحت في التلقّي عائقاً كبيراً؛ لتعدّد مستويات القرّاء الفكريّة على صفحات الفيسبوك، واختلاف ثقافات المتفاعلين مع هذه الصفحات.

وفي ظلّ الانفلات في الحريّة غير المُنضبطة على صفحات الفيسبوك، وانعدام الأمانة العلميّة عند بعض مرتادي صفحات الفيسبوك، فإنّ نصوص بعض الكُتّاب تتعرّض للسرقة، الأمر الذي يتطلّب الحذر كثيرًا من صحة بعض هذه الكتابات، ومدى امتلاكها لجماليّات اللغة، وأساليبها التعبيريّة، بعيدًا عن العلاقات البلاغيّة المُعقّدة، أو الإسهاب السرديّ.

إنّ المزجَ بين التكنولوجيا والمعرفة البشريّة أمرٌ ضروريّ في حياتنا المعاصرة، وهذا يتطلّب فهمًا عميقًا للسياق الثقافيّ والتاريخيّ، والسيطرة على كثرة النصوص المنشورة على صفحات الفيسبوك التي تحتاج إلى مراجعة فكريّة ولغويّة أيضًا، بل وتصنيفها أحيانًا وفق الأجناس الأدبيّة، وقياس مدى قدرتها على فهم طريقة تفكير الشّباب وحاجاتهم المعرفيّة، وميولهم الإبداعيّة، ثم الحكم عليها من الناحيتين الفنّيّة والمضمونيّة.

وهنا لا بدّ من توخّي الموضوعيّة وعدم المجاملة في ذلك؛ لأنّ كثيرًا ممّا يُنشَر يكون بهدف حصد أكثر عدد ممكن من إعجابات المتابعين لصفحة الكاتب، دون أيّ

عناية بالشكل أو المضمون، أو حتى المراجعة اللغويّة، ممّا يجعلنا نواجه أثناء تلقّي هذه النصوص فيضًا من الأخطاء اللغويّة أو الإملائيّة أو الطباعيّة، أو جميعها معًا.

نقرأ كثيرًا على صفحات الفيسبوك خواطر أو انثيالات وجدانيّة، أو كلامًا عامًّا يجنح إلى الإغراق في الخيال الذي ينسجم مع روح شبابيّة ثائرة، وحلم جامح يحاول الإفلات من الواقع المأزوم، وهي في مجملها كتابات تبحث عن عالم خاصّ يحتضنها، أو متلقٍّ يفهمها ببساطتها التعبيريّة، وخصوصيّتها الفكريّة، وبالتالي توفير إطار عام لفهم كيفيّة توليد هذه النصوص اللغويّة، ومحاورتها في إطارها الفكريّ المعاصر، بعيدًا عن قيود الزمان والمكان، وطرائق الكتابة الفنّيّة.

لقد بات الفيسبوك منبرًا إعلاميًّا لكثير من مستخدميه، وبخاصة الشّباب الراغبين في جعل الفيسبوك وسيلةً لخطاب الآخر ومحاوراته، بل وإبداء رأيهم حول كثير من القضايا التي تهمّهم، بعدما وجدوا أنفسهم مهمَّشين ومقموعين أحيانًا في التعبير عن آرائهم بشكل مباشر، فقد وجدوا في الفيسبوك وسيلةً لتحقيق رغباتهم في عالَمٍ يستوعب أفكارهم، ويستمع لهم دون توقّف.

وقد نتج عن هذا المدّ الهائل من الكتابات خلط بين الإبداع وما يسمّى وهم الإبداع، أو أدب الخديعة الذي لا يُعتدّ به إبداعيًّا؛ لاعتماده على الانفعال والإثارة والإنشائيّة التي لا ترقى لمستوى الفنّ الإبداعي. ولا شكّ أنّ مثل هذا اللون من الكتابة أفسد الأدب، وجعله رهينًا لرغبات وانفعالات الكُتّاب والمتلقّين على السواء، ومحدِّدًا بمدى قدرة الكاتب على ضبط المكتوب، أو معرفته إن كان ما يكتبه أصلًا يقع ضمن دائرة الأدب فنًّا ورؤىً، ويتّسق ضمن لغة سليمة، ويحقّق ما يحقّقه الأدب من متعة فنيّة وأداء لغويّ راقٍ.

## المختبر

إنَّ تسليط الضوء على كتابات الشَّباب الأدبيّة على صفحات الفيسبوك، وإخضاعها للقراءة النقديّة المستمرّة، ضرورة من أجل تطويرها، بل إنَّ التركيز على مدوّنات الشَّباب، وبخاصة فئة المراهقين منهم، بات أكثر إلحاحًا للوقوف على ميولهم واتّجاهاتهم الفكريّة في ظلّ فوضى الكتابة والفكر أيضًا.

ومن الناحية الفنّيّة، فإنَّ إحساس المتلقّي لكتابات الفيسبوك، يختلف باختلاف اسم المؤلّف، إذ كثيرًا ما تصبح الأسماء المعروفة ذات اهتمام عند المتلقّي، وبخاصة تلك التي تمتلك ثقافة شخصيّة مؤثّرة، تستطيع استقطاب الذاكرة البصريّة، وبعث الاهتمام من خلالها، إذ يلفت اسم صاحب صفحة الفيسبوك القرّاء قبل قراءة المحتوى، وهذا ما يُسبّب أحيانًا حُكمًا زائفًا على المحتوى الكتابيّ، وأحيانًا يرفض كثير من روّاد الفيسبوك قراءة المحتوى الكتابيّ للأشخاص المجهولين، أو حتى الأسماء غير المعروفة، فهم يتعاملون في فضاء غير واضح المعالم، وبدون هُويّة ثابتة.

تُثير بعض النصوص الأدبيّة المنشورة على الفيسبوك شعورًا مضاعفًا بالألم عند المتلقّي؛ بسبب تعبيرها عن انفعالات الشَّباب الحادة، وعواطفهم الجارفة، ورغباتهم المكبوتة، حيث تتعالى أصوات التغيير، والرغبة في إيجاد بدائل مناسبة لحياتهم النازفة، فهم كثيرًا ما يكتبون تلبيةً لحاجة داخليّة تجسّد أحلامهم ورغبتهم في كلام لا يُقال أو يُكتب ورقيًّا.

تتدخّل طبيعة النشر على صفحة الفيسبوك بحجم المادة المكتوبة؛ لمحدوديّة المساحة التي يمكن النشر عليها بطريقة يستطيع المتلقّي قراءتها، حيث تتّسع رؤية الكاتب بشكل تسلسليّ يعتمد بالدرجة الأولى على تصميم صفحة الفيسبوك، وحجم المادة المراد نشرها، وهذا يضع القارئ أمام محدّدات مُعيّنة، فالكاتب غير معنيّ بالتفاصيل الدقيقة أو السرد الحكائيّ، بقدر اهتمامه بتجسيد رؤيته الفكريّة، وإيصال رسالته للآخرين. أمّا استجابة القارئ الإيجابيّة، فتتمثّل في قراءته للمكتوب أولًا، ثم التفاعل الإلكترونيّ أو التعليق الكتابيّ عليه ثانيًا، وهذا يسهم

في إعادة بناء وتركيب النص المكتوب من جديد، وفق رؤية وقناعة المتلقّي من جديد.

يظهر المشهد في الكتابة الفيسبوكيّة، بوصفه لوحة فنّيّة من التجارب العاطفيّة، أو الانفعالات ذات الطبيعة الوجدانيّة التي لا تستطيع صفحات طويلة نقلها أو التعبير عن جوهرها، فهي مصوغة بطرائق إنتاج وآليّات مختلفة عمّا هو شائع في الكتابة الورقيّة، إذ يدرك القارئ أنّه أمام عالم خاصّ قائم بذاته، يمتلك مضمونًا جماليًّا من الألوان والمساحات والألفاظ مرتّبة بشكل يحمل معنى ودلالة واضحة.

لعلّ تعدّد القراءة للمنشور على صفحة الفيسبوك أمرٌ طبيعيّ؛ لتعدّد القرّاء أو المشاهدين أنفسهم، وهذا يجعل عملية التلقّي للمنشور الواحد متعدّدة الأبعاد، بل والاتّجاهات الفكريّة أيضًا، فأنماط استجابة المتلقّين مختلفة ومتناثرة في الفضاء الإلكترونيّ، لا تخدم أفكار الكاتب بقدر تعبيرها عن حالة تلقّي خاصة، أو موقف فكريّ محدّد، فهي في أغلبها تقوم على التمويه والخداع أكثر من سعيها إلى الإقناع، أو تبنّي رؤية فنّيّة ذات منهج نقديّ واضح.

إنَّ ما يُكتب من أدب على صفحات الفيسبوك يتطلّب تعاملًا خاصًّا، وطريقة قراءة مختلفة لما يُكتب ورقيًّا، فسياق السرد مختلف، ودوافع الكتابة مختلفة أيضًا، وطريقة الكتابة لا يحكمها نسق ثابت، الأمر الذي يقتضي وضوحًا، ونضجًا في الإمكانات الفنّيّة للكاتب على صفحة الفيسبوك؛ لتصبح عمليّة قراءته أكثر إثارة للفكر، وإنتاجًا للمعنى، وتجسيدًا للمعاني الإنسانيّة العميقة.

# «العابرة والبقايا» لبلقيس الفارسية..
# تشظّي الذّات الأنثويّة وتحوّلات المعنى

د. مي بكليزي

## الحبّ في الرواية

• بلقيس الفارسية

يظهر الحبّ عند بلقيس الفارسية كأفة القلب الطاهر الذي لا يقبل بالأنصاف، ويبحث عن اكتمال شعوره حتى الثمالة، بطلتها (بلقيس) تُعاني لعنة الإخلاص في سعيها لنصفها الآخر، فتتعلّق بمن يُمنع منها الاقتراب، وتتساءل: «لماذا يا الله قلبي يتعلّق بمن يُمنَعُ منّي الاقتراب؟ هل هي لعنة؟» (ص62).

تسلك طريق القلب قبل العقل، فتزداد أوجاعها، حتى عندما تحاول السير بعقلها، تجد نفسها محكومة بالخيبة، تكمن المشكلة في هذا القلب الأبيض الذي لا يحتمل نقطةً من سواد.

«وليكن الحبّ زادكم الدائم، وكونوا حريصين ألّا ينفد من خزائن قلوبكم»، الحبّ هنا سرّ الوجود، وزاد الرحلة في الحياة كما تؤكّد الرواية، ويصبح اختبارًا مستمرًا بين الرغبة والواقع، بين الأمل والانكسار.

## المنهج الذرائعيّ وتفكيك النصّ

اختير المنهج الذرائعيّ لتحليل الرواية على مستويات متعدّدة: الأخلاقيّ، النفسيّ، الاجتماعيّ، الأسلوبيّ، الديناميكيّ، الجماليّ، ومستوى المتلقّي، بما يسمح بفهم أعمق للخطاب السرديّ وأثره على القارئ.

## المستوى الأخلاقيّ

يعكس النصّ الصراع الداخليّ للمرأة بين الالتزام الاجتماعيّ والرغبة المشروعة في الحبّ، ويُظهر خللًا في القيم الأسريّة والزواجيّة. تصوير الزوج البارد واللامبالي يعكس غياب المسؤوليّة والعاطفة، بينما تُظهر البطلة وعيًا أخلاقيًا وقدرة على تساءل الوجود والمجتمع.

## المستوى النفسيّ

تعكس الرواية اضطراب البطلة العاطفيّ، والصدمات النفسيّة الناتجة عن الحبّ، والزواج، والأمومة، والخذلان، تقنيّة الاستبطان تسمح بالغوص في وعي الشخصيّة؛ لتكشف عن الخوف، والقلق، والانكسار، ما يمنح الرواية بُعدًا وجوديًا عميقًا.

المستوى الاجتماعيّ والسوسيولوجيّ

تفضح الروايةُ بنيةً اجتماعيّةً تحكمها سلطة الأب والمجتمع الذكوريّ، حيث تُعاقَب المرأة على حرّيّتها، النصّ يحتجّ ضد هذه البنية، ويُظهر أنّ الأنوثة في مجتمع البطلة ليست مكافأة، بل هي معاناة، ما يجعل الرواية احتجاجيّة اجتماعيًا.

## المستوى الأسلوبيّ واللغويّ

لغة الرواية شاعريّة وسرديّة، تجمع بين الانسيابيّة والتكثيف العاطفيّ، مع توظيف المجاز والإيحاء: «كلامه هذا كان يُطفئ نيران الوجع والحقد»-استعارة حسيّة، «ما زلت أتنفسّك»-إيجاز بليغ. اللغة تخدم المضمون، وتثري التجربة الحسيّة والوجدانيّة دون زخرفة مبالغ فيها، مع تراكيب نحويّة سليمة، وجمل طويلة توحي بالتأمل.

## المستوى الديناميكيّ

السرد يُظهر تطوّرَ البطلة من فتاة حالمة إلى زوجة مُحطّمة وأمّ مُثقلة بالخذلان، مع انتقالات شعوريّة حادّة بين الأمل والانكسار. المفارقات الشعوريّة بين الرغبة

والواقع تُشكّل مُحرّك الحبكة، مع تركيز على أثر الصراع النفسيّ أكثر من الأحداث التقليديّة.

### المستوى الجماليّ والرمزيّ

العنوان (العابرة: بقايا امرأة) يحمل دلالة مزدوجة: المرور المؤقّت وترك البقايا من التجربة. الرموز مثل الولادة والغياب والارتقاء تشير إلى التحوّلات الداخليّة العميقة للبطلة، الرواية توظّف الزمن النفسيّ والزمن الصوفيّ لتجربة الأحداث وجدانيًا أكثر من كونه زمنيًا.

### مستوى المتلقّي

الرواية تُشرك القارئ في التجربة، فتثير التعاطف والتساؤل عن قدرة المرأة على الصمود، وتجعل القارئ يتماهى مع البطلة أو ينتقدها، ممّا يمنح الرواية فاعليّة ذرائعيّة حقيقيّة.

### الشخصيّات

- البطلة/ المرأة العابرة: مركّبة بين القوة والضعف، الأمل والانكسار، نموذج للمرأة المعاصرة الباحثة عن حريّتها وسط قهر المجتمع.
- الزوج (جوزيف): يمثّل الذكورة الباردة والمسؤولة عن الغياب الوجدانيّ أثناء الولادة، أداة كشف للتباين العاطفيّ.

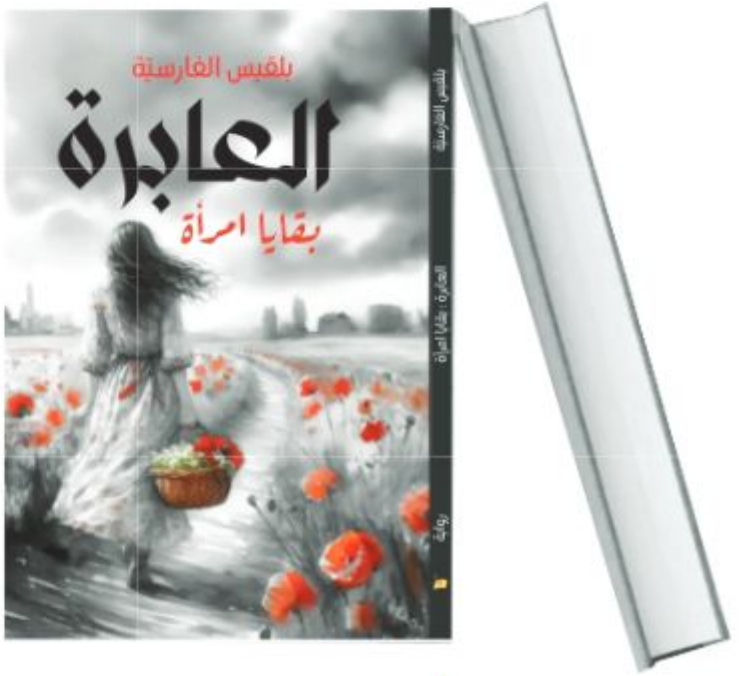


- الأمّ والأخ: رموز للهيمنة التقليديّة والانكسار الأسريّ، يُظهران القيد والتحكّم بالمصير الأنثويّ.

### الزمان والمكان

- الزمن الروائيّ: غير خطّي، يعتمد على الزمن النفسيّ أكثر من الواقعيّ، لحظة الولادة تتّسع سرديًا لتصبح مركزيّة.
- الفضاء الروائيّ: يحمل رمزيّة عالية، كالبيت الأبويّ كقيد، وغرفة الولادة كمسرح ألم وانكشاف.

### الحوار والتعبير

النصّ مليء بالمونولوج الداخليّ للبطلة، ما يعزّز كثافة وجدانيّة عالية، لغة الرواية صوفيّة في إيحاءاتها، وتعكس رحلة البحث عن الذات والمعنى، كما في قولها: «من يعرف قيمة نفسه لا ينكسر أبدًا؛ لأنّه لا يتصرف إلّا من خلال الله فقط» (ص95).

### الجانب الصوفيّ

- التحول الداخليّ والبحث عن الحقيقة: البطلة سالكة في تجربة الألم والغياب، للوصول إلى الذات والخلاص الرمزيّ.
- اللغة الرمزيّة والإشارات الصوفيّة: رموز الظل، المرآة، الغياب، الارتقاء.
- الزمن الصوفيّ: الزمن النفسيّ يتجاوز الزمن الواقعيّ.
- المرأة كذات صوفيّة مجروحة: تتطهّر بالألم، وتبحث عن المعنى عبر الحبّ والخذلان.
- الوجد والتجلّي: اللحظات العاطفيّة العميقة تعكس نشوة حزينة، ملامح صوفيّة واضحة.

### خلاصة

رواية (العابرة: بقايا امرأة) عمل ذي عمق وجدانيّ وفكريّ، يمزج بين الصوفيّة والسيرة الذاتيّة، ويعالج قضايا المرأة المعاصرة من منظور نفسيّ واجتماعيّ. توظّف الرواية السرد الذرائعيّ لتقديم تجربة غنيّة بالمعنى والجمال الفنّيّ والتكثيف الدلاليّ، وتستحقّ القراءة لمن يهتمّ بالتحوّلات الداخليّة للذات وقضايا المرأة، حتى وإن لم تكن مناسبة لعشّاق الحبكة التقليديّة، أو السرد الخطّيّ الواضح.

# قراءة في رواية (شبّاك أمّ علي) لمحمد العامري

إياد أبو ريان

عرفنا محمد العامري شاعرًا، وفنّانًا تشكيليًّا، وإعلاميًّا، ونقابيًّا، وقد فاجأنا مؤخّرًا بإصدار رواية عن دار خطوط وظلال، بعنوان (شبّاك أمّ علي).

تهبط هذه الرواية بقرّائها إلى أخفض منطقة في الكرة الأرضيّة (الأغوار)، وتحديدًا قرية «القليعات - جسر الشيخ حسين»، التي أنجبت الأديب والفنّان محمد العامري، الذي يروي فيها جانبًا من سيرته الشخصيّة، إلى جانب جماليّات المكان الذي تتجدّد فيه الحياة، وينبعث الخصب، من قلب الفقر والموت والحرّ الشديد، الذي لا يمكن أن يعرف وقعه ودماره إلّا من عاش هناك.

في هذه الرواية يبثّ محمد العامري ثروة لغويّة، وأسلوبًا سرديًّا يجمع بين الجاذبيّة والإدهاش، ويجري مزجًا بين الأنواع الأدبيّة والفنّيّة (الشعر والغناء والموسيقى، والرواية والقصة والحكاية، والسيرة الذاتيّة والغيريّة، والفنّ التشكيليّ، والسينما، والمسرح، والدراما الإذاعيّة والتلفزيونيّة)، ويجمع بين الواقعيّة والخيال؛ ليُحلّق ويبتكر عبر مفارقاته البلاغيّة فرحًا في قلب البؤس، وجنّة في أقحل أرض.

شُبّاك أمّ عليّ، ودكّان أبو هاشم، ومقهى مسعود، ثلاثة أماكن، تُطلّ على القرية وتكشف أسرارها، جعلها العامري بؤرة للمعرفة، التي تتجاوز الشخصيّات المتحرّكة إلى ما يدور في خلدها، وتوصّل من خلالها إلى ما دار ويدور في رأس كلّ من عاش هناك، وجعل كلّ شخصيّة منها تمتلك القدرة على الحوار الذي يصل إلى درجة التحقيق الأمنيّ، فانتزعوا الاعترافات، وقدّموا المعلومات التي أثرت الرواية، وجعلت القارئ لا يتمنّى نهايتها، ولأول مرّة يُطالع رواية تكشف حتّى عمّا يدور في خلد الجنين في بطن أمّه، أو ما يجري للمرأة في حالات «الوحام».

وبفنّيّة عالية يصف العامري ما يجري في حالات العشق، والزواج، والأعراس من طقوس وتقاليد قد تبدو غرائبيّة بعض الشيء، وفي مواقف أخرى يصف ما يجري في حالات المرض والموت من ردود فعل تترك بصمتها الحزينة عند كلّ من شاهدها وعايشها.

وبالرغم من أنّها رواية موجّهة للكبار، فإنّ فيها تركيزًا على حياة الأطفال، وهمومهم ومعاناتهم من قسوة البيئة، ومن تصرّفات الأهل تجاههم، وكم كان العامري يُقحم فنّ الكاريكاتير ويجعله يتدخّل في بعض المواقف والمشاهد، ومنها ما تقوم به الأمّ عند تحميم طفلها.

أمّا المرأة، فقد أنصفتها هذه الرواية، وتوقّفت عند أدقّ التفاصيل في حياتها المُعذَّبة، فعدا عن قسوة الظروف والبيئة، فإنّها في كثير من الأحيان، كانت مسؤولة عن حلّ مشاكل الصغار والكبار، في أسرتها وفي مجتمعها، وبالرغم من أنّها لا تملك شيئًا إلّا الحنان، فإنّها كانت تجعل الجميع يعيشون في أهدأ بال.

والمرأة في هذه الرواية مُحاصرة بالمراقبة، وبأعين العسس واتهاماتهم، لكنّ نساء القرية كُنّ ينجحنَ في وضع حدّ لكلام الجاهلات وثرثرتهن، ويتوجّهن إلى العمل والتعليم ليخلقنَ بيئةً جديدةً نظيفةً من كلّ المُنغّصات.

شخصيّات الرواية نامية، وتشارك رغم صعوبة الظروف في التنمية، بأبعادها: التربوية: حيث الاهتمام بالتربية والتعليم من قبل الصغار والكبار في الأغوار، والاقتصادية: من خلال الاهتمام بالتجارة والزراعة والحصاد، والأشجان التي رافقت شخصيّات الرواية التي لم تكن تستطيع تنفيذ تطلّعاتها؛ بسبب المرض، أو الموت، والاضطرار إلى الاستدانة التي تولّد القهر، وتجبر الناس على بيع ذهب نسائهم من أجل السداد.

والاجتماعيّة: من خلال التركيز على العلاقات بين الناس في مناسباتهم المختلفة، وما يدور فيها من عادات وتقاليد، وما أجملَ اللقطات التي توقّفت فيها الرواية عند ما أحدثه صندوق العروس وذكرياته في بطلها! وعند هجوم الثعالب على قرية القليعات بعد تسعة أيام من الثلج الذي جعلها تفلت من عقال الموت؛ لتأكل كلّ ما فيها من طيور.

والسياسيّة: حيث يمتزج السكان في وحدة وطنيّة، تجمع بين مواطني ضفّتي الأردن الشرقيّة والغربيّة، من كلّ المنابت والأصول، بعد التهجير الذي طال الفلسطينيّين على إثر الاحتلال الإسرائيليّ، الذي انشغلت به شخصيّات الرواية طويلا، مُشيدة بالمقاومة، وبدور نهر

الأردن -الذي شبّهه بالإنسان- في إنعاشها، بالرغم ممّا أحدثه الاحتلال فيه وفي ينابيع المنطقة من تجفيف حتى الموت.

تمتلئ الرواية بالمشاهد السينمائيّة، واللوحات البصريّة، والتداعيات والمونولوجات والذكريات، التي أثرت السرد فيها، وجعلتها واحدة من المعجزات الفنّيّة في القرن الحادي والعشرين؛ لما فيها من تجديد وابتكار جماليّ وموضوعيّ.

ويكفي هذه الرواية فخرا أنّ العامري صاغها بلغة فيها زركشة أطلّت بخفّة ورشاقة على جماليات الإنسان والمكان والزمان، في الماضي والحاضر والمستقبل، وأضافت إلى جانب ذلك حلاوة في الوصف، وطلاوة في التعبير، الذي لم يخلُ من أسلوب وجهات نظر الشخصيّات.

# الذَّكاءُ الاصطناعيُّ مِنْ أجلِ الأرض

د.عاطف العيايدة

عاشَ الإنسانُ منذُ الأزلِ وهو يبحثُ عبرَ منافذِ التّفكيرِ عن مُخترعاتٍ تُحاكي عقلَه البشريَّ، فحاولَ الأذكياءُ والفنّانونَ والخبراءُ الوصولَ إلى قممِ التّطوّرِ والازدهارِ في العالم، وعلى جميعِ المستوياتِ ومُختلفِ المجالاتِ، غيرَ أنَّ الذّكاءَ الاصطناعيَّ بمفهومِه المُتعارَفِ عليه لم يكن حاضرًا في الواقعِ المعيشِ، بل كانَ حاضرًا في الخيالِ، وفي العروضِ السينمائيّةِ المتخيَّلةِ، وفي الأفلامِ العجائبيّةِ، حتّى إنّهُ كانَ من شدّةِ غرابتِه كالوحشِ المُرعبِ الّذي يُخشى منه إذا اقتحمَ هذا العالَمَ على وجهِ الحقيقةِ.

ومع تطوّرِ الحضارةِ والانفتاحِ في الرؤيا، تحوّلَ الذّكاءُ الاصطناعيُّ من مُجرّدِ مُتخيَّلٍ يسحرُ العيونَ ويُدهشُ العقولَ، إلى واقعٍ معيشٍ تلمسُ البشريّةُ أثرَهُ على أرضِ الواقعِ، ويدخلُ بكلِّ سلاسةٍ في جميعِ مناحي الحياةِ؛ ليُغيّرَ وجهَ العالمِ، ويحقّقَ فوائدَ عظمى في جميعِ القطاعاتِ الرئيسةِ في الحياةِ، كقطاعِ الزراعةِ والصناعةِ، والنّقلِ والمياهِ، والمُناخِ والتعليمِ، وغيرِها.

وزمنيًّا كانت الولادةُ الأولى للذّكاءِ الاصطناعيِّ سنةَ 1956م، بمشروعٍ يحملُ اسمَ (مشروع دارتموث البحثيّ حولَ الذّكاءِ الاصطناعيِّ)، وقد قام به (جون مكارثي) مخترع لغة البرمجة (Lisp)، وهَدَفَ من خلالِه إلى البحثِ عن وسائلَ تجعلُ الآلةَ تحاكي جوانبَ العقلِ الذّكائيّةِ، ثمَّ تطوّرَ الأمرُ خلالَ ستّينيّاتِ وسبعينيّاتِ القرنِ الماضي؛ ليبدأَ الذّكاءُ رحلتَه منَ الحواسيبِ في التّعرّفِ على الصّورِ، وتحريرِ اللغاتِ، وفهمِ الإشاراتِ، وهكذا حتّى حقّقَتْ شركةُ (Google) إنجازاتٍ متقدّمةً في مجالِ الألعابِ اللوحيّةِ المُعقّدةِ عبرَ برامجِ الذّكاءِ الاصطناعيِّ.

من هنا استمرّتْ تقنيّاتُ الذّكاءِ الاصطناعيِّ في التّطوّرِ حتّى وصلنا اليومَ إلى نتائجَ خارقةٍ للعادةِ، فقد تجاوزَ مراحلَ الآلاتِ التّفاعليّةِ، والذاكرةِ المحدودةِ؛ ليصلَ إلى نظريّةِ العقلِ الّتي تتمكّنُ الآلةُ بفضلِ تقنيّةِ الذّكاءِ الاصطناعيِّ من فهمِ المشاعرِ والأحاسيسِ، ومعرفةِ الاحتياجاتِ واتّجاهاتِ التّفكيرِ، وهو ما يُسمّى بالذّكاءِ العاطفيِّ الاصطناعيِّ.

لقد لعبَ الذّكاءُ الاصطناعيُّ أدوارًا كبيرةً في تجاوزِ التّحدّياتِ المجتمعيّةِ، وصناعةِ مستقبلٍ أيسرَ للأجيالِ القادمةِ، ويشيرُ مصطلحُ (AI) إلى الذّكاءِ الاصطناعيِّ، وهو اختصارٌ لـ(Artificial Interlligence)، وهو يتمثّلُ في الأجهزةِ والأنظمةِ الّتي يطوّرُها العقلُ البشريُّ؛ لتكونَ محاكيةً له، وهي تعتمدُ اعتمادًا مباشرًا على جمعِ البياناتِ وتحليلِها، ومن ثمَّ معالجتِها معالجةً آليّةً رقميّةً، فقد دخلَ الذّكاءُ الاصطناعيُّ في التّسويقِ، وفي الخدماتِ المصرفيّةِ، وفي الرّعايةِ الصّحّيّةِ، وفي مجالِ اكتشافِ الفضاءِ، وفي التعليمِ، وغيرِه الكثيرِ الكثيرِ.

وقد أصبحَ الذّكاء الاصطناعيّ مصطلحًا شائعًا يؤدّي المهامَ المعقّدة بأقلّ وقت وجهد، تلك المهامُ الّتي كانَتْ تتطلّبُ أعدادًا بشريّة، وأثمانًا باهظة، وأوقاتًا طويلة، ومع ذلك لا تُعطي نفسَ النتائج، ومثالٌ على ذلك خدمةُ الردّ الآليّ، أو التطبيقاتُ الإلكترونيّةُ الخدميّةُ الّتي يستعينُ فيها الملايينُ في العمليّات اليوميّة، كدفع الفواتير، وإنجاز المعاملات، وإرسال الحوالات، والتّواصل مع الآخرينَ، وحضور النّدوات الافتراضيّة، والكثير الكثير من ثمار الذّكاء الاصطناعيّ.

ففي مجال الاتّصالات لَعبَ الذّكاء الاصطناعيّ دورًا رائدًا في تحقيق نقلة كبيرة في عالم الاتّصال والتّواصل على مستوى العالم، إذ أصبحت الأجهزةُ الإلكترونيّةُ اليومَ -خاصة الهواتف النقّالة بكلّ أنواعها- جزءًا أساسيًّا من حياتنا، وقد اعتادَ النّاسُ عليها لدرجة لا يمكنُ تخيُّلُ الحياة دونها، فهي عنوانُ التّواصل المتشابك مع العالم بكلّ ما فيه من مستجدّات يوميّة، ومعلومات ومعارف وأحداث وأخبار منقولة من هنا وهناك، وتعدّتْ تلك الحدود؛ لتتحوّلَ إلى أدوات رقميّة ضابطة للأعمال والأشغال، ودخلَتْ المؤسّساتِ التعليميّةَ جميعَها كمصدرٍ هامٍّ من مصادر التعلّم.

فالذّكاء الاصطناعيّ لم يَعُدْ مُجرّدَ كلام تنظيريّ، فهو اليومَ بمثابة اليَد الّتي تُشغّلُ هذا العالم، وتحقّقُ إنجازات واضحةً، وتخفّفُ عن البشريّة الأعباءَ الكبيرة، وتقلّلُ من المجهودات، وتوفّرُ الأوقاتَ والكُلَفَ الماليّةَ الباهظة، علمًا بأنّ التشغيلَ الآليّ بمفهومه التّقليديّ جزءٌ من منظومة الذّكاء الاصطناعيّ، فالآلات مُبرمَجةٌ على كيفيّة العمل ضمنَ سياقٍ مُحدّد، أمّا الذّكاء الاصطناعيّ، فإنّهُ يساعدُها على التّفكير والتّطوّر بالاعتماد على البيانات الّتي تجمعها، ومن الأمثلة عليها الرّوبوتات.

# «فوضاي تعشقني» لحسن النبراوي.. تكثيف المعنى

دالية حسن حسين

يطالعنا الشاعر حسن النبراوي بافتتاحيّة يُشَدُّ الانتباهُ لها طواعيّةً وشوقًا في قصيدته، بقوله: «فوضايَ تعشقني»: لنستدلَّ بصورة حتميّة على العلاقة الصريحة التي أدرجت القصيدة بين دفّتي ديوانه (سمّ لذيذ)، فنندفع متسائلين: ما هي الفوضى التي يعشقها على غرار ليس بالمعتاد؟! وما هو السمّ الذي يستلذّ طعمه رغم نهايته الحتميّة؟!

ثمّ نجد أنّ طول القصيدة ينتمي للقطع القصير إلى المتوسط، فربما يزيد هذا التحديد في السطور الشعريّة من قصديّة معاني التيه والفوضى والعدميّة، التي تُغلقُ منافذَ الحريّة التعبيريّة أمام النبراوي، لا سيّما وهو ابن زمن الحداثة التي طبعت الأدباء والشعراء والمفكّرين بالسمات الأدبيّة نفسها؛ لتعكس ما آلت إليه الحياة العصريّة الصعبة بتحدّياتها الماليّة والتكنولوجيّة، والمعرفيّة والقيميّة والفكريّة، وبهذا نستدلّ على تفوّق الشاعر في تكثيف المعنى في ثنايا سطور القصيدة.

كما نلمحُ مجموعةً متلاحقةً من المقابلات الضدّيّة بين الدوال التي تنتمي للحقل الدلاليّ ذاته؛ إمعانًا لبلوغ التناقض والفوضى والعدميّة، في قوله: «تجيد بعثرتي ورقصت معي، الوعي لا يعي، أخشى النظام والرّتابة، السماء تلبّدَتْ وفرّقت جَمْعَ غيومها». كما تتآزر الأساليبُ الفنّيّةُ معًا لتحصدَ أثرًا مُحتّمًا في المتلقّي، وذاك بدا بارزًا عبر التضادّ، والأسطورة، والرمز، والإيجاز، والمعاني العميقة، والألفاظ الواضحة.

إنّ الشاعر يقفُ حائرًا بين الحقيقة الواعية واللاواعية، فيستشعر ما يمرّ به البشر الحائرون من فوضى مسعاهم في الدنيا لكسب معيشتهم، وتلاطمهم صعودًا أو نزولًا في نيل المكاسب أو المخاسر، فتارةً تتلبّد أوقاتهم غيومًا تُثير أحزانهم، بالفقر أو الموت أو الفقد، أو المرض أو العجز، أو الفشل أو الظلم، وتارةً تتفرّق الغيوم وتصفو السماء، فتضحك الأفراح مُتتابعةً للناس بالنجاح، والزواج، والحبّ، والمتعة، والملذّات، والمسرّات، والعدل، فأين شاعرنا بين تيه البشر في دوّامة الحياة الصاخبة؟

إنّنا لنجده لا يستسلم للرتابة المُملّة، ولا يرضى بالهدوء بديلًا عن الصعاب دون تحقيق حُلمه، وبالرغم ممّا طاله من عذابات الرحلة الصعبة، فإنّه ما زال سريع الخطو في استجابته لمتطلّبات الحياة، ويَعِدُ بأنّ بيته وشعره وأصله كلّها مُسخّرة لرسم خطى من بعدها؛ أملًا في الحياة المنشودة، وحبًّا في السعي وبذل الهمّة والجهد المحمود، على غرار قول الشابي:

وأطرقتُ أُصغي لقصف الرُّعود
وعزف الرّياح ووقع المطر
وقالَتْ ليَ الأرضُ لمّا سألتُ:
أيا أمُّ هل تكرهينَ البشر؟
أباركُ في الناس أهلَ الطّموح
ومَنْ يستلذُّ ركوبَ الخطر

وعندما ننظر نظرةً عامةً إلى المباني في القصيدة، وما تحملها من مدلولات، وما اتّخذه النبراوي من الخصائص الأسلوبيّة للتعبير عن الوحدة الموضوعيّة بصور مُتباينة فيها، فإنّنا نُدركُ أنّنا أمام لوحة ذهنيّة تُطابقُ الرّسم المُصوّر أمامنا لشخصيّة أسطوريّة تاريخيّة (بربروسا)، ذلك البحّار الذي قضى حياته يقود السفينة مُخترقًا المحيطات ومجتازًا الأخطار، إلى أن فقد قدمه وساقه، واستبدل بهما قطعةَ جلد سوداء تغطّي عينه الكفيفة، وساقًا خشبيّة يرتكز عليها بدلًا من ساقه المبتورة، وما اكترث بما لا يتماشى مع مسعاه وهدفه، وما أعجزته مصائبه عن بلوغ حلمه الذي كان يسعى له، وهو الكنز المفقود، سرّ الحياة الدفين، النهاية الحتميّة للوجود، الموت المُحتّم لكلّ مَنْ يحيا على الأرض؛ لتكتمل سُنّة الحياة، حياة فموت، موت فحياة، وليس هناك ما يُسعد الإنسان في الكون إلّا عندما يكتشف سرّ انبعاثه في الدنيا الفانية.

# ترانيمُ الأجيالِ: حينَ يحفظُ الماضي صوتَهُ في ذاكرةِ المُستقبَل

رنا غريزات

في عالَم تتسارع فيه الخُطى نحو الحداثة، وتتشابه فيه المدن والعادات، يبقى الموروث الثقافيّ هو البوصلة الخفيّة التي تُعيد الإنسانَ إلى ذاته، وتمنح الشعوبَ معنى وجودها واستمراريّته، فالثقافة ليست ترفًا فكريًّا، ولا بقايا زمنٍ مضى، بل هي الذاكرة الحيّة التي تحفظ ملامح الأمة، وتُشكّل وجدانها في هذه الأرض، وتمنحها صوتًا لا يذوب وسط ضجيج العولمة.

الموروث الثقافيّ ليس مُجرّد حكايات تُروى أو أدوات تُعلّق في المتاحف، بل هو منظومة متكاملة من القيم والعادات والتقاليد، والأمثال الشعبيّة والأغاني والاحتفالات، واللهجات والأزياء، والطقوس الاجتماعيّة، إلى جانب التراث المادّيّ من عمارة وحِرَف وأدوات شكّلت تفاصيل الحياة اليوميّة للأجداد. إنّه الإرث الذي لا يُشترى ولا يُستعار؛ لأنّه يشبه الجذر الذي يغذّي الشجرة، فإذا قُطع، ذبلت الأغصانُ مهما بدت خضراء من الخارج.

وتكمن عظمةُ التراث في كونه جسرًا زمنيًّا يربط الماضي بالحاضر، ويمنح المستقبل امتدادًا أصيلًا، فالأجيالُ ليست مُجرّدَ تواريخَ مُتعاقبة، بل هي حلقاتٌ متّصلةٌ في سلسلة واحدة، يحمل كلّ جيل أمانة الحفاظ على ما سبقه، ونقله إلى من بعده دون تشويه أو طمس، وإذا انكسرت إحدى هذه الحلقات، فُقدتْ معها ملامحُ هُويّة تشكّلت عبر قرون من التجربة الإنسانيّة.

• لوحة للفنان عبد الرؤوف شمعون

من هنا، تبرز أهميّة التوثيق بوصفه خطّ الدفاع الأول عن الذاكرة الثقافيّة، بتدوين القصص الشعبيّة، وتسجيل الأغاني القديمة، وجمع الأمثال والمُعتقَدات، وحفظ الروايات الشفويّة قبل أن يطويها النسيان، فالموروث لا يُصان في الكتب وحدها، بل يُحفَظ في البيوت، وفي المناسبات، وفي الطقوس، وفي طريقة الحديث، وفي تفاصيل الحياة اليوميّة، كما أنّ تعليم الأطفال التراث بأساليب إبداعيّة وتفاعليّة لا تلقينيّة جامدة، يزرع في نفوسهم الفخر بالانتماء، ويجعلهم حرّاسًا متمكّنين لهُويّتهم.

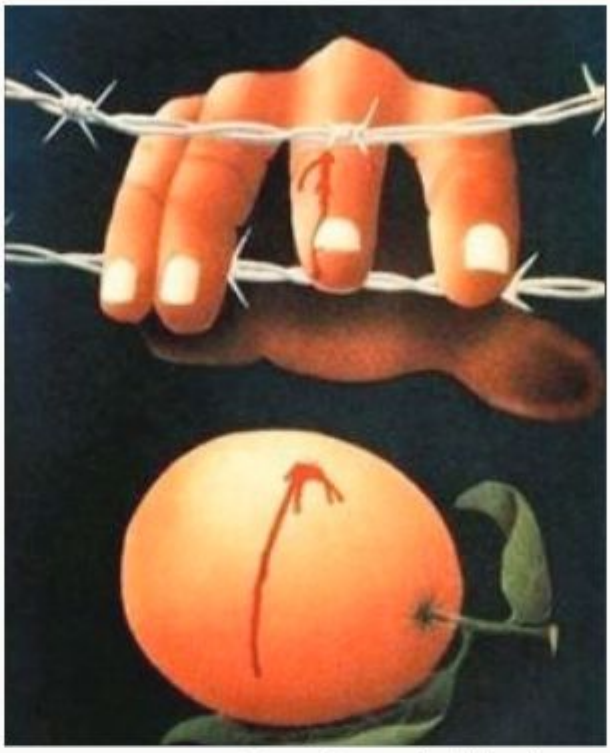

• لوحة للفنان عبد العزيز إبراهيم

ولا يعني الحفاظ على التراث الوقوف في وجه الحداثة، بل إنَّ التحدّي الحقيقيّ يكمن في التحديث دون طمس؛ أي إدخال روح العصر على التراث دون تشويهه أو تفريغه من معناه، فالأزياء التقليديّة يمكن تطويرها دون فقدان رموزها، والحرَف القديمة يمكن توثيقها وتسويقها بوسائل حديثة، والموروث الشعبيّ يمكن تقديمه عبر المنصّات الرقميّة بلغة معاصرة تحافظ على أصالته.

وبالرغم من هذا الثراء الثقافيّ الهائل، يواجه الموروث اليوم تحدّيات حقيقيّة وضغوطًا متزايدة، أبرزها العولمة التي تُذيب الفوارق الثقافيّة وتغري الأجيال بالتشابه، وضعف التوثيق المؤسّسيّ، وضياع كثير من القصص والرموز نتيجة غياب الجهود المُنظَّمة، واستبدال اللهجات المحلّيّة بأنماط دخيلة، إضافة إلى تراجع الحرَف اليدويّة أمام الإنتاج الصناعيّ السريع، وهي تحدّيات تجعل مسؤوليّة الحفظ أكثر إلحاحًا وعمقًا من أيّ وقت مضى.

وهنا يتجلّى الدور المحوريّ للمجتمع بمؤسّساته المختلفة، الثقافيّة والتربويّة والإعلاميّة، فحماية التراث تبدأ بإنشاء مراكز مُتخصّصة تُعنى بجمعه ودراسته، ودعم الحرفيّين والفنّانين الذين يجسّدونه في أعمالهم، ودمج التراث في المناهج التعليميّة بأساليب عمليّة تُلامس الواقع، وتشجيع السياحة الثقافيّة التي تُبرز جمال الهُويّة المحلّيّة، إلى جانب توظيف وسائل التواصل الاجتماعيّ لنشر محتوى واعٍ عن العادات والتقاليد والقصص الشعبيّة بأسلوب جذّاب ومؤثّر.

وفي الختام، إرث الماضي لا يختفي، بل يتردّد عبر الزمن، تمامًا كما تتردّد الترانيم من جيل إلى جيل، يبقى الموروثُ الثقافيُّ أغنيةً خالدةً لا تفقد لحنها مهما تغيّر الإيقاع، وحين نحفظ تراثنا، لا نحفظ الماضي فقط، بل نحفظ أنفسنا، ونمنح الأجيال القادمة مرآة صادقة تعكس من نحن، وكيف بدأنا، وإلى أين يجب أن نصل، فالمحافظة على الموروث الثقافيّ ليست عملًا تراثيًّا فحسب، بل هي مشروع وطنيّ وإنسانيّ يحفظ هُويّة الأمة وذاكرتها ووجودها، فالأمم التي تنسى تراثها تفقد صوتها، أمّا التي تصونه، فتبقى ترانيمها تتردّد بأصوات الأجيال إلى الأبد.

# أجيالٌ وأجيال

أمل المشايخ

كلّما تحدّثتُ مع الشّباب عن جيلنا واهتماماتنا حين كنّا صغارًا، أبدَوْا امتعاضًا واضحًا من فروق الأجيال، وكثيرًا ما ضربوا أمثلةً تُدلّل على بُعد المسافة بين جيلنا وجيلهم، مسافة لا تقاس بالسّنوات وحدها، بل بما تحمله من اختلاف في الذّائقة، وفي أنماط التّفكير، وفي شكل العلاقة مع العالم من حولنا، وحين نُمعن في النظر نكتشف أنّ هذا التّباعد ليس خلافًا عابرًا، بل هو نتيجة طبيعيّة لتحوّلات عميقة مسّت كلّ تفاصيل الحياة.

وكلّما تذكّرتُ جلساتنا الجميلة حول المدفأة في شتاءات عمّان البعيدة، وكوب الشّاي بالميرميّة، وصحن الزّيت والزّعتر، والخبز المحمّص، شعرتُ أنّ تلك التّفاصيل الصّغيرة كانت تصنع عالمًا كاملًا من الطّمأنينة والحنين، فلمْ تكُنْ تلك الجلسات مُجرّد لحظات دفء جسديّ، بل كانَتْ مساحةً للقراءة والاستماع إلى الحكايات، وتشكيل الوعي الأوّل حين قرأنا في تلك السّنوات كُتبًا وقصصًا تناسب أعمارنا، ثمّ تسلّلنا بفضول بريء إلى مجلّات الكبار قبل الصّغار، وحفظنا مقاطعَ من تلك النّصوص التي شكّلَتْ في وجداننا بذور الفكر، وأسهمَتْ في بناء علاقتنا باللغة والمعنى والخيال.

ولعلّ الحديث عن هذه الثّنائيّة: جيل الأمس وجيل اليوم، يظلّ حاضرًا بقوّة في الدّرس الأدبيّ، كما في المحور التّربويّ على حدّ سواء؛ ففي الدّرس الأدبيّ كانَتْ بنيةُ المجتمع العربيّ مادّةً أساسيّةً للرّواية العربيّة، وأسهمَتْ في ظهور مدارسَ أدبيّة ونقديّة تصدّتْ للواقع الجديد، مثل المدرسة الواقعيّة، والواقعيّة الجديدة (الاشتراكيّة)، والواقعيّة السحريّة في مرحلة لاحقة، وقد مكّن ذلك من قراءة الأدب بوصفه مرآةً لتحوّلات المجتمع، حيث يشكّل الأفرادُ -أو الأبطال- جزءًا مهمًّا من سياقه التّاريخيّ والاجتماعيّ.

نجد ذلك واضحًا في أعمال نجيب محفوظ مثلًا، ولا سيّما الثلاثيّة الشّهيرة، فقَدْ قدّمَتْ هذه الأعمال صورةً بانوراميّةً لحياة ثلاثة أجيال، بكلّ ما حملته هذه الأجيال من تغيّرات فكريّة واقتصاديّة وسياسيّة في ظلّ أنظمة حكم مُتعاقبة وثورات مُتلاحقة، ولم يكن محفوظ في هذه الأعمال يكتب عن أفراد معزولين، بل عن أجيال تتشكّل وتتصادم وتتغيّر في تفاعل دائم مع شروط الواقع.

وليس الحديث عن التّربية والتّعليم ببعيد عن هذا السّياق، فتحوّلات المجتمعات هي -في جوهرها- الابن الشّرعيّ لتغيّر أنظمة التّعليم وقوانين التّربية، وقد شهدنا في العقود الأخيرة حماسًا لافتًا لدى كثير من الآباء لإلحاق أبنائهم بالمدارس الأجنبيّة بدافع البحث عن فرص أفضلَ، أو مواكبةً للعصر، أو هروبًا من أزمات التّعليم المحليّ، غير أنّ هذا الخيار -على وجاهته الظّاهرة- ترك أثرًا عميقًا في بنية المجتمع الثّقافيّة واللغويّة.

ومن نافلة القول -بعد ذلك- أن نتحدّثَ عن ظهور جيل جديد ربّته التكنولوجيا ووسائل الإعلام الحديثة أكثر ممّا ربّاه الآباء، جيل تشكّل وعيه عبر الشّاشات، وتكوّنَتْ علاقاته من خلال المنصّات الرّقميّة، وتعلّم أن يرى العالم سريعًا ومختصرًا ومتغيّرًا على الدّوام، كما أنّ الاهتمام المتزايد باللغات الأجنبيّة -على حساب العربيّة في كثير من الأحيان- أسهم في إحداث شرخ لغويّ وثقافيّ لا ينعكس على اللغة فحسب، بل على طريقة التّفكير والشّعور والانتماء، ومن البَدَهيّ أن نتساءل عمّا سيورّثه هذا الجيل لأبنائه الذين قد يعيشون في واقع «غريب الوجه واليد واللسان» عمّا عشناه وشهدناه.

وفي مناظرة لطيفة بين الأجيال، كانَ كلّ جيل يتباهى بسمات العقد الذي وُلد فيه، فتحدّثَ جيل الخمسينيّات والستينيّات من القرن الماضي بفخرٍ عن غذائهم الطبيعيّ الخالي من السّماد الكيماويّ، وعن ألعابٍ جسّدت البساطة والبراءة، مثل: الحجلة والطمايّة (الكوم ستير).

أمّا جيل السّبعينيّات والثمانينيّات، فتباهى بكونه آخر جيل لعب في الشارع، وأوّل جيل عرف ألعاب الفيديو، وتواصل عبر الهاتف الأرضيّ قبل ظهور وسائل التّواصل الاجتماعيّ، واستمتع بقنوات تلفاز محدودة قبل عصر الفضائيّات، ثمّ جاء جيل التّسعينيّات؛ ليعبّر عن اعتقاده بأنّه الأكثر حظًّا في طفولته، إذ وُلِدَ بين جيلين: جيل قديم لم تبتلعه التكنولوجيّا بعد، وجيل حديث غارق في عوالمها، وهو جيل شهد حروب الخليج، و(الخريف العربيّ)، و(أيام الكيماويّ)، فحملت ذاكرته الجمعيّة مزيجًا من البراءة والقلق، ومن اللعب والخوف في آنٍ واحد.

وهنا يبرز السّؤال المشروع: أيّ ذكريات ستحملها الأجيال الجديدة؟ أيّ حكايات سترويها لأبنائها؟ وأيّ قيم ستشكّل وجدانها في عالم سريع التحوّل متشابك، ومفتوح على كلّ الاحتمالات؟

وفي منشورٍ لطيف على مواقع التّواصل، كان يدعونا إلى التّعرّف على الجيل الذي ننتمي إليه، فقد اتّفق الباحثون على التّقسيمات التّالية:

## الجيل الأعظم، وهم مَنْ وُلدوا قبل عام 1928م

هو الجيل الذي شارك في الحرب العالميّة الثانية، ويرى الخبراءُ من الغربيّين أنّه الجيل الذي أنقذَ العالم بالانتصار في تلك الحرب.

## الجيل الصّامت، وهم مِنْ مواليد 1928-1945م

هو الجيل الذي نشأ في ظلّ الحروب والأزمات، ويتّسم بالانضباط والاحترام والولاء، ويقدّم الواجب على الذّات.

## جيل الطفرة، وهم مِنْ مواليد 1946-1964م

هو جيل البناء والنّموّ، ويتّسم بأنّه جيل عمليّ، تنافسيّ، يؤمن بالاستقرار الوظيفيّ والعمل الجادّ طويل الأمد، وهو الجيل الذي شهد في طفولته الرّخاء الاقتصاديّ في الخمسينيّات والستينيّات.

## جيل إكس (X)، وهم مِنْ مواليد 1965-1980م

هو جيل متوازن ومستقلّ وواقعيّ، استطاع أن يتكيّف مع التّحوّل من العالَم التّقليديّ إلى الرّقميّ، أمّا النقطة الأخطر في هذا الجيل الذي شهد التّحوّل الكبير في منظومات القيم وفقدان الرّقابة الأسريّة، نتيجة ارتفاع معدّلات الطّلاق والتّأثير البيئيّ المتزايد.

## جيل الألفية (Y)، وهم مِنْ مواليد 1981-1996م

وُصفوا بأنّهم الأكثر استخدامًا للإنترنت وأجهزة المحمول ووسائل التّواصل الاجتماعيّ، وهو الجيل الذي عاصر أحداث (الحادي عشر من سبتمبر)، وتحمّل أعباء الأزمة الاقتصاديّة عام 2008م، لذا هم يفضّلون المرونة، ويسعون للتّطوير الذّاتيّ، ويبحثون عن التّوازن بين الحياة والعمل.

## جيل زد (Z)، وهم من مواليد 1997-2012م

هم أبناءُ العصر الرّقميّ، يتّسم هذا الجيل بأنّه سريع وواعٍ، ويقدّر الأصالة والاستقلاليّة، ويهتمّ بالصّحّة النّفسيّة والقضايا الاجتماعيّة، لكنّه الأكثر مخاطرة في تغيير العمل أو الانخراط في الأعمال الحرّة، كما أنّه أكثر انفتاحًا على الآخر، وأكثر تمرّدًا من الجيل الذي سبقه.

## جيل ألفا، وهم مِنْ مواليد 2013 -إلى اليوم

هو الجيل الأصغر الذي وُلِدَ في العقد الثّاني من الألفيّة الجديدة، فهو جيل من الأطفال الصّغار الذين ينتمون لأسر جيل الألفيّة، إنّه جيل الذّكاء الاصطناعيّ، يتعلّم باللمس والتّجربة، وتُعاد صياغة التّعليم من أجله، فضلًا عن أنّه امتزج بجيل الأزمات والمخاطر.

وإذا خطر لأحدنا أن يسأل هنا: أيّ هذه الأجيال أفضل؟ فإنّ استعراضًا سريعًا لسمات كلّ جيل يُظهر لنا أنّ الأجيالَ تتكامل ولا تتفاضل، وحينها يحقّ لنا أن نستنتج أنّ القيادة الحقيقيّة هي التي تفهم الاختلاف بينَ الأجيال، وتحوّله إلى قيمة إضافيّة.

وللحقّ، لستُ من الذين يحبّون التّباكي على جيلٍ مضى، ولا مِنَ المُقتنعين بجدوى المقارنة الحادّة بين الأجيال، فقد خُلقوا لزمانٍ غير زماننا كما أشارَ الخليفةُ الرّاشديّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، كما أنّ لكلّ جيل سماته التي تمنحه متعة الاكتشاف، وتفرض عليه في الوقت نفسه تحدّيات المواجهة، وما نرجوه -في النهاية- أن تتمكّن هذه الأجيال من بناء مستقبلٍ مشرق، وحين نقول: «مشرق»، فإنّ القلوبَ -قبلَ العقول- ترنو إلى فضاءاتٍ من الحريّة والسّلام والإنسانيّة بمعناها الأعمق.

# الشَّبابُ والهُويّةُ وصراعُ الأجيالِ في زمنِ التكنولوجيّا المفتوح

أسيل عزيزية

في زمن العولمة الرقميّة، زمن الإنترنت والشبكات الاجتماعيّة، الذي لا يشبه أيّ زمن مرّ على الأجيال السابقة، يعيش الشّباب اليومَ عالمًا مفتوحًا على مصراعيه، لا تعترف حدوده بالخرائط، ولا تقف فيه المعلومات عند بوّابات الجغرافيا، حيث تختلط الثقافات، وتتنافس القيم، وتتشابك الهُويّات، فيتحوّل الإنسان إلى نقطة التقاء بين حضارات متعدّدة، ورؤى متباينة، وصوت داخليّ يبحث عن ذاته وسط هذا الصخب العالميّ الهائل.

في مثل هذا المشهد، يصبح سؤال الهُويّة سؤالًا وجوديًّا لا مفرّ منه، من أنا؟ إلى أيّ عالَم أنتمي؟ وكيف أستطيع أن أكون نفسي دون أنْ أنعزل عن الآخرين؟

إنَّ ما يحدث اليومَ من تحوّلات كبيرة، يؤثّر على الفئة الأكثر حساسيّة، وهي فئة الشّباب، فهم جيلٌ وُلدَ في زمن الصورة والسرعة، ويعيش على وقع الإيقاع السريع للتكنولوجيا، ويكوّن صداقاته ويتلقّى أفكاره، ويعبّر عن ذاته من خلال العالم الرّقميّ.

ولا يمكن أن ننكر أنَّ هذا الانفتاح الهائل جعله أكثر وعيًا بالعالم، وأكثر انفتاحًا على الآخر، لكنّه في الوقت نفسه جعله عُرضةً لتشوّش فكريّ وثقافيّ، فيجد نفسه بين تيّارين متناقضين: تيّار محلّيّ يربطه بتراثه وثقافته وقيمه، وتيّار عالميّ يفتح أمامه آفاقًا واسعةً للحياة والتفكير والتعبير.

هذا التناقض يخلق نوعًا من القلق الذي يؤثّر

على الهُويّة، وهو قلق طبيعيّ في مرحلة عُمريّة تبحث بطبيعتها عن معنى الانتماء، وعن ملامح الذات. إنَّ الهُويّة في معناها العميق ليست حجرًا صلبًا لا يتغيّر، بل هي كتلة مرنة يمكن تشكيلها باستمرار، وتتفاعل فيها الذاكرة والمستقبل، والماضي والحاضر.

## الثقافاتُ الوافدة

تكمن خطورةُ المرحلة التي يعيشها الشّباب في سرعة التغيّر، وفي حجم التأثير الذي تمارسه الثقافات الوافدة عبر الإعلام والترفيه والمحتوى الرقميّ، الشابُّ اليومَ لا يحتاج إلى السفر ليعيش تجربة ثقافيّة جديدة، فالعالم كلّه يدخل إلى هاتفه الصغير، يزاحم عاداته اليوميّة، ويقترح عليه أنماطًا جديدة من التفكير واللباس، والحبّ والحريّة والنجاح.

ومع مرور الوقت، تبدأ هذه الصور المُتكرِّرة في تشكيل رؤيته للعالم، بل حتى نظرته لنفسه ولمجتمعه، فيبدأ الصراع الداخليّ بين ما تعلّمه في بيئته المحلّيّة، وما يراه في العالم الافتراضيّ. ومع هذا، فليس بالضرورة أن يكون هذا الصراع مع ما يُسبِّبه من اضطرابات أمرًا سيئًا، بل على العكس، يمكن النظر إليه بوصفه حالة صحيّة وطبيعيّة في تطوّر المجتمعات، لماذا؟ لأنّه -وبكلّ بساطة- يُعبّر عن وعي جديد لدى الشّباب، وحرص على إعادة تعريف الذات بطريقة أكثر صدقًا وجرأة.

## الهُويّةُ الوطنيّةُ للشّباب

الشّباب لا يرفضون هُويّتهم الوطنيّة كما يعتقد البعض، بل يحاولون أن يمنحوها معنىً جديدًا يتناسب مع واقعهم المعاصر، فهم يريدون أن يكونوا أبناء هذا الوطن، لكنّهم في الوقت نفسه يريدون أن يكونوا جزءًا من العالم، يريدون أن يفتخروا بجذورهم، دون أن يشعروا بأنّهم مُقيّدون بها، يريدون أن يعبّروا عن أنفسهم بلغتهم الخاصة، بوسائلهم الخاصة، من موسيقى وأفلام وفنّ، وإعلام ومحتوى رقميّ.

قد يُسبِّب هذا التقدّم السريع سوء فهم بين الأجيال، فينظر الكبار في العمر إلى هذا الانفتاح على أنّه تهديد للهُويّة، بينما يراه الشّباب فرصةً لتحقيق الذات. وبينما يخشى جيل الآباء من ذوبان الهُويّة، يرى الأبناء أنّ الهُويّة يجب تطويرها لتبقى حيّة، ويجب عدم الخوف عليها أو على جماليّتها من التغيير، من هنا تظهر الفجوة بين الأجيال، هذه الفجوة تحتاج إلى جسر من الحوار المتبادل، بدلًا من الرفض والطلب منهم أن يقلّدوا الماضي، بل يجب أن نُشجّعهم على أن يستلهموا الماضي، وأن يعيدوا قراءته بلغتهم وفهمهم، وأن يجعلوه منطلقًا للابتكار، لا قيدًا للتقليد والتكرار.

من هنا لا يمكن إغفال دور المؤسّسات التعليميّة والثقافيّة في هذا السياق، فهي تمتلك القدرة على توجيه هذا الصراع وتحويله إلى طاقة بنّاءة ليست هدّامة، فالتعليم لا يقتصر على نقل المعرفة، بل هو مساحة لتشكيل الوعي النقديّ، ولتعليم الشّباب كيف يفكّرون، لا بماذا يفكّرون، وينبغي على المناهج التي تقدّم التراث أن تطرحه كمصدر للمعرفة والإلهام، لا كعبء تاريخيّ ثقيل.

إنّ سياسة حشو العقول بالمعلومات أسلوب بائس للتعليم، ولم يَعُدْ مطلوبًا اليومَ، بل المطلوب هو أن نزرع فيهم حبّ التساؤل، والقدرة على المقارنة، والبحث عن المعنى للأشياء.

إنّ الإعلام الحديث الذي أصبح الرفيق اليوميّ للشباب، يمكن أن يلعب دورًا إيجابيًّا في ترسيخ الهُويّة، إذا تمّ توظيفه بذكاء، فبدلًا من أن يكون مجرّد قناة لبثّ المحتوى المُستورَد، يمكن أن يتحوّل إلى منصّة لإنتاج محتوى وطنيّ حديث، يعبّر عن قيم المجتمع بروح شبابيّة معاصرة، محتوى يجمع بين الأصالة والابتكار، بين المحليّة والعالميّة.

## فرصةٌ للتجدّد

نحن في حاجة إلى أن يرى الشابّ نفسه في الإعلام، لا كنسخة تقليديّة جامدة، بل كفرد حيّ يعيش عصره، ويفهم العالم بلغته، ويكون قادرًا على الإبداع والابتكار. الهُويّة ليست شعارات نُعلّقها في المناسبات الوطنيّة، بل هي تجربة يوميّة يعيشها الفرد في تفاصيل حياته، في لغته، في ذوقه، في طريقته في التفكير والتفاعل مع الآخرين، وهي لا تُصان بالمنع والرقابة بقَدْر ما تُصان بالثقة والحوار والانفتاح، فعندما نمنح الشّباب حرية التعبير، ونستمع إلى أفكارهم بجديّة، فإنّنا نمنح الهُويّةَ فرصةً للتجدّد من داخلها.

أمّا حين نُقصي الشّباب بحُجّة أنّهم لا يفهمون، أو لأنّهم مختلفون، فإنّنا نترك فراغًا قد تملؤه الثقافات الأخرى، فضلًا عن التشتّت الذي سوف نتركه عالقًا فيهم. إنّ بناء هُويّة وطنيّة قويّة في زمن مفتوح، لا يعني إغلاق الأبواب الجديدة، بل يعني معرفة الذات بعمق، والقدرة على التفاعل مع الآخر دون الذوبان فيه.

إنّ الهُويّة الحقيقيّة ليست نقيضًا للعالميّة، بل هي الطريقة التي نعيش بها في هذا العالم كأنفسنا، وليس كظلٍّ لغيرنا، فالأمم التي حافظت على خصوصيّتها لم تكن منغلقة، بل كانت قادرة على أن تقول للعالم

مَنْ هي، وأن تفرض احترامها من خلال إبداعها وإسهاماتها في الحضارة الإنسانيّة.

## هل هناكَ أزمةُ هُويّة؟

في نهاية المطاف، يمكن القول: إنَّ الشَّباب اليوم لا يعيشون أزمة هُويّة كما يُشاع في كثير من الخطابات، بل هم يمرّون بمرحلة طبيعيّة من إعادة تعريف الهُويّة وتشكيل الذات في عالم سريع التغيّر، فَهُم لا يسعون إلى القطيعة مع ماضيهم، ولا إلى إنكار جذورهم، بقدر ما يحاولون أن يمنحوا هذا الماضي معنىً جديدًا يتناغم مع واقعهم المعاصر، فهم يبحثون عن هُويّة مرنة، حديثة، قادرة على التفاعل مع التحوّلات دون أن تفقد معناها.

إنّهم يريدون أن يكونوا أبناء لأوطانهم، مرتبطين بثقافاتهم وتقاليدهم، لكنّهم في الوقت نفسه يرفضون أن يكون الماضي هو السجن الذي يُقيّد رؤيتهم للمستقبل، فالشابّ المعاصر يعيش في عالم مفتوح لا يعترف بالحدود، عالم تتقاطع فيه الثقافات، وتتداخل فيه الهُويّات، ممّا يجعله مضطرًّا إلى التكيّف وإعادة ترتيب أولوياته، دون أن يتخلّى عن جوهر انتمائه.

من هنا تبرز مسؤوليّة المجتمع في أن يكون شريكًا في هذا البحث عن الهُويّة، لا خصمًا له، فالشَّباب في حاجة إلى من يمنحهم الثقة، لا من يحاسبهم على اختلافهم، وعلى المؤسّسات التعليميّة والثقافيّة أن تفتح أمامهم فضاءات للحوار والتعبير، وأن تُشجّعهم على التفكير النقديّ والابتكار، بدلًا من فرض قوالب جاهزة للانتماء. كما أنَّ دور الأسرة لا يقلّ أهميّة، إذ ينبغي أن تكون الحضن الذي يحتضن الأسئلة، لا الذي يخشاها؛ لأنَّ الحوار بين الأجيال هو السبيل الوحيد لبناء هُويّة متوازنة.

إنّنا اليومَ في حاجة إلى جيل يعرف تاريخه جيّدًا، ويفهم عالمه، ولا يعيشُ أسيرًا للماضي، نريد جيلًا يدرك تعقيد عالمه، ويملك الشجاعة ليعبّر عن نفسه بثقة، جيلًا يؤمن بأنَّ الانتماء لا يتعارض مع الانفتاح، بل يُغنيه ويمنحه المعنى.

وعندما يتحقّق هذا التوازن بين الأصالة والمعاصرة، بين الجذور والآفاق، بين الوطن والعالم، سنكون أمام هُويّة جديدة نابضة بالحياة، هُويّة تصنعها العقول الشابّة، وتفتح لنا أبوابًا جديدةً، وتحمل ملامح المستقبل الذي نحلم به جميعًا.

# هل يقرأُ الكُتّابُ الكبارُ أدبَ الشَّباب

لطيفة محمد حسيب القاضي

يُشكّل أدب الشَّباب في المشهد الثقافيّ العربيّ والعالميّ حركة ثقافيّة وإبداعيّة خاصة بالجيل الشابّ، مؤخّرًا برزت ظاهرة آسرة في الوسط الثقافيّ، ألا وهي انجذاب الكُتّاب الكبار إلى قراءة أدب الشَّباب، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كتبوا فيه.

أدب الشَّباب الذي يُنتجه الجيل الشابّ الناضج أضحى اليوم إنتاجًا بعيدًا عن الفكر الفقير الضحل، هذا النوع الأدبيّ الذي يتميّز بخصائص فريدة تتماشى مع التطوّر الذاتيّ لجيل الشَّباب. من جهة أخرى عُمر الأدب لا يقاس بمداه الزمنيّ، بل بمقدرته على الوجود في الحياة، ويجب أن يُقرأ بمعزل عن عمر الكاتب.

## التناقضُ في مفهوم أدب الشَّباب

هناك تباين ملحوظ في تعريف أدب الشَّباب، يراه بعض الدارسين أنّه مصطلح إشكاليّ؛ لكونه يعكس ارتباطًا وثيقًا بمرحلة عمر مؤلّفه وتجربته الحياتيّة، بدلًا من التركيز على جودة العمل الأدبيّ نفسه، وبعضهم الآخر يعدّه وسيلةً للتعبير عن القضايا التي تخصّ الشَّباب. هذا الخلاف يُسلّط الضوء على أهميّة تقييم النصوص الأدبيّة على أساس قيمتها الفنّيّة ومحتواها بعيدًا عن الفئة العمريّة، مع ذلك يبقى تأثير النصوص التي تُنتجها الأجيال الشابّة أو التي توجّه إليهم، تتّسم بخصائص فريدة تمنحها طابعها الخاص، وهو أمر لا يمكن إنكاره.

## أدبُ الشَّباب بينَ الكثافة الفكريّة والعمق

يُنظر إلى الكثافة الفكريّة في أدب الشَّباب من خلال قراءة الواقع المعاصر بجميع تشعّباته، إذ يعكس هذا الأدب القضايا الحياتيّة والصراعات الثقافيّة والتأثيرات الاجتماعيّة في المجتمعات، من هنا فإنّ التجربة الشَّبابيّة تُعَدّ مرحلة مفصليّة في حياة كلّ كاتب؛ لأنّها مرحلة الاكتساب التي تستند إلى المخزون الثقافيّ المُكتسَب، فعلى قدر الثقافة تكون التجارب، هذه المرحلة التي تتميّز باحتياجات متنوّعة ذات طبيعة فكريّة وعاطفيّة واجتماعيّة على أقلّ تقدير.

أدب الشَّباب يخلق تساؤلات في القارئ عن المصير والهُويّة والبحث عن الذات؛ ليفتح أبوابًا للدهشة، ويُقدّم إجابات تتفجّر منها المواهب، ويُنتج نصًّا أدبيًّا، سواء أكان النصّ شعريًّا أم قصصيًّا أم نقديًّا، فإنّه يتّسم بأسلوب بسيط هادئ، ولغة سلسة دون تعقيدات فلسفيّة مفرطة، ربما لأنّه يخاطب بدايات صحوة الوعي الأولى، ممّا يجعله أدبًا حيويًّا، ومن هذا السياق لا يُعَدّ التبسيط ضعفًا، بل يُعَدّ اختيارًا فكريًّا وجماليًّا من نوع خاص.

## استعادةُ الذكريات

في السابق كان أدب الشَّباب يُهمَّش باعتباره نوعًا أدبيًّا يقتصر على الكتابات الرومانسيّة، وبعضه الآخر يحمل نزعة إنسانيّة، لكنّه منذ منتصف تسعينيّات القرن العشرين، برزت عليه سمات جديدة من النضج والابتكار الفنّيّ، وذلك نتيجة اجتهاد كُتّاب شباب موهوبين، أضف إلى ذلك أدبهم وثيق الصلة بالواقع، فازدادت نوعيّة كتابات الشَّباب حتى جذبت الكُتّاب الكبار لقراءتها، كذلك أصبحت تعالج موضوعات فكريّة واجتماعيّة، فصار كلّ شيء مباحًا، لا سيّما القدرة على إخبار القارئ بالحقيقة بكلّ شفافيّة.

كما يمنح أدب الشَّباب القارئ إطارًا مرجعيًّا لرؤية الكاتب للعالم وسط ضجيج التحوّلات الذي تتداخل فيه الحدود بين الثابت والمتحوّل، إذ إنّ مسألة قراءة الكبار في أدب الشَّباب هي ظاهرة أخلاقيّة تنبع من الاهتمام بالقراءة، وتُعَدّ رحلة عبر الذاكرة، ووسيلة لتوسيع الآفاق، ونافذة على عالم الجيل الجديد.

تشير العديد من الإحصاءات إلى أنّ (50%) من الكُتّاب الكبار يقرؤون أدب الشَّباب رغبةً في التجديد

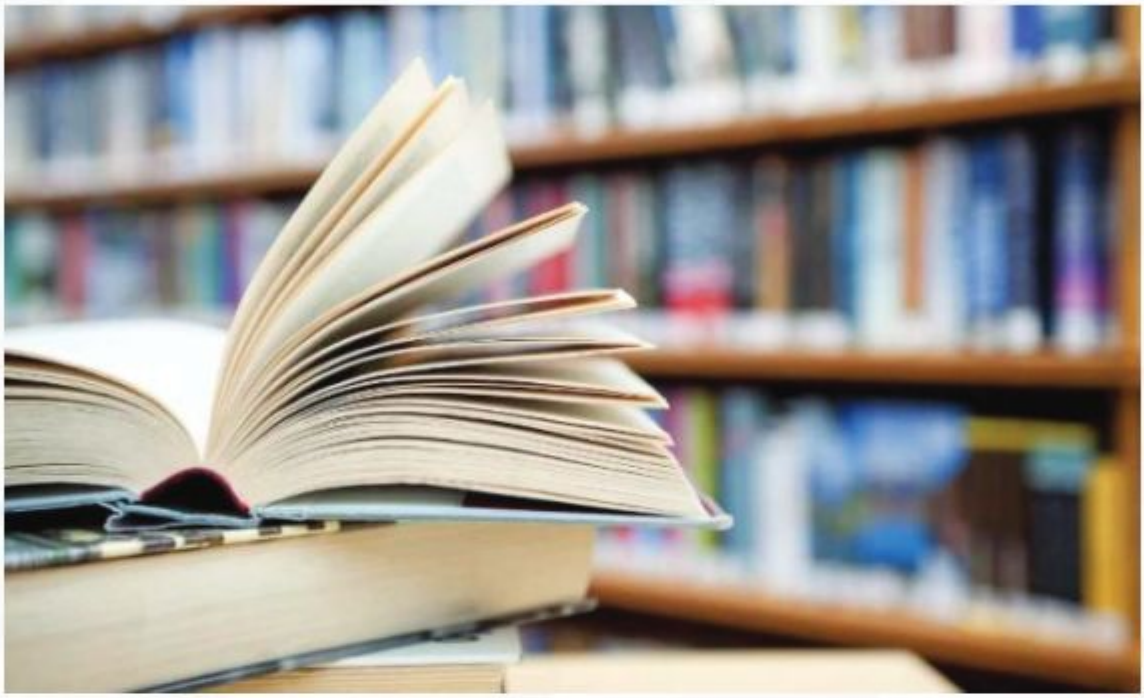

والتأثير الاجتماعيّ، فينظر إليه كأُطر تتبنّى أساليب لغويّة إبداعيّة للتعبير عن قضايا معاصرة بأسلوب يتّسم بالديناميكيّة الفعّالة، كذلك لاستعادة ذكريات مضَتْ، والاطّلاع على تجاربهم ووجهات نظرهم، واكتشاف القضايا التي تهمّ الشّباب بطريقة مختلفة عن الأدب الكلاسيكيّ، كما يتجلّى فيه تنوّع ثقافيّ وتجربة تعكس العالم الحقيقيّ.

ينظر الكُتّاب الكبار إلى أدب الشّباب على أنّه وسيلة لزرع القيم الإنسانيّة، والقدرة على التعامل مع التحدّيات الحديثة، فيمنح الكاتب حريّة في توليف الواقع بالخيال، ممّا يجعل أعمالهم أكثر تشويقًا، فهم يرون أنّ هذا النوع من الأدب يساهم بشكل فعّال في تطوير الأدب نفسه وإثرائه، وتوسيع آفاقه؛ ليكون رافدًا للثقافة والمعرفة، لذلك احتلّ هذا الأدب مكانة عريقة؛ لأنّه يُلبّي اهتمامات قرّائه.

## جوائزُ تنافسيّة

الجوائزُ ليست مُجرّد حالة احتفائيّة أو تقديريّة للكاتب، إنّها تتجاوز حدود ذلك؛ لتصل بالإبداع والمبدع الشابّ نحو فضاءات جديدة تخرج من النمطيّة إلى مستويات جديدة تعمل على ترسيخ فكرة الكتابة الإبداعيّة، والذهاب بالكاتب إلى مكانته التي يستحقّها.

أُقيمت جوائز ومسابقات تغطّي مجالات أدبيّة متنوّعة، مثل: الشعر، والنقد، والرواية، والقصة القصيرة، والمسرح، كما اتّسعت الجوائز لتشمل فرص النشر والاعتراف الإعلاميّ أيضًا.

يشهد المشهد الثقافيّ والأدبيّ في العالم العربيّ حراكًا واسعًا؛ نتيجة جهود المؤسّسات والمنظّمات التي تسعى لدعم جيل جديد من الكُتّاب والمبدعين، وتبرز الجوائز الأدبيّة التنافسيّة للشباب كعنصر فعّال في هذه الحركة، كذلك لكشف المواهب والأصوات الأدبيّة الجديدة التي تساعد على تشجيع الابتكار، وتوفير الدعم اللازم نحو الاحتراف.

هذه الجوائز ليست مُجرّد تكريم، بل هي مُحفّزات قويّة تسهم في إثراء المحتوى العربيّ، كما تُشكّل دعامة أساسيّة لنمو الأدب وازدهاره، وتُعزّز ثقة الشّباب بأنفسهم، علاوة على أنّها تشجّعهم على مواصلة الكتابة.

إنّ الجوائز تُتيح فرصًا للتواصل مع كبار الأدباء والنقّاد والناشرين، ممّا يفتح أبوابًا وآفاقًا جديدة في عالم الاحتراف الأدبيّ؛ لتطوير المواهب الشابّة في العالم العربيّ، كما أنّ نشرَ الأعمال الفائزة يُمثّل خطوة أساسيّة مهمّة في مسيرتهم الإبداعيّة، إنّ الاهتمام

بالجوائز في العالم العربيّ يعكس إدراكًا مهمًّا لأهميّة دور الشّباب في تشكيل مستقبل الأدب والثقافة.

## هل يكتبُ الكبارُ في أدب الشّباب؟

نعم، يكتب الكبار في أدب الشّباب، ويساهم الكُتّاب الكبار بشكل كبير في إثراء هذا النوع من الأدب بناءً على خبرتهم ورؤاهم العميقة، التي غالبًا ما تمنح هذه الأعمالَ عمقًا وتأثيرًا كبيرًا، لقد تناول الكبار قضايا مثل الهُويّة، والحبّ، والصداقة، والتحدّيات الاجتماعيّة، بلغة مشوّقة وبسيطة، مع دمج عناصر من الفانتازيا، إضافة إلى ما يتّسم به النصّ من تنوّع في الأساليب والمواضيع، وهو ما أكسب أعمالهم جاذبيّة لدى الشّباب، الأمر الذي يُعزّز من مكانة الأدب كأداة للتأمّل والتعبير؛ بفضل الجودة العالية في الكتابة.

هناك كُتّاب كبار تركوا بصمة واضحة في كتابة أعمال خالدة، لا تزال تحظى بشعبيّة كبيرة، إذ أسهم الشاعر والروائيّ الأردنيّ جلال برجس، والكاتب أمين معلوف من لبنان، والكاتب المصريّ أحمد خالد توفيق، والكاتب نبيل فاروق من مصر، والكاتب الفلسطينيّ نجيب الكيلاني، في تشكيل وعي أجيال كاملة من الشّباب في العالم العربيّ.

إنّ كتابة الكُتّاب الكبار في أدب الشّباب يدلّ على أهميّة هذا النوع الأدبيّ، وإنّ مساهمتهم الغنيّة لا تُثري المشهد الثقافيّ فحسب، بل تسهم في بناء جيل واعٍ ومثقّف قادر على التفكير النقديّ، وفهم العالم منْ حوله بصورة مُعمّقة.

## تحوّلاتُ المشهد الثقافيّ وتحدّياتُ أدب الشّباب

في الآونة الأخيرة طرأت تغيّرات جوهريّة في المشهد الثقافيّ العربيّ، لم تَعُد التقليديّة هي الوحيدة التي تتحكّم في إنتاج المحتوى الثقافيّ، فمع انتشار الإنترنت أصبح الشّبابُ ركيزةً أساسيّةً في تشكيل هذا المشهد، حيث وفّرت منصّات رقميّة مثل الفيسبوك، واليوتيوب، والبود كاست مساحات واسعة للاشتراك في تقديم محتويات ثقافيّة متنوّعة، والتعبير عن الأفكار، متجاوزة الوسائل التقليديّة، هذا التغيير النوعيّ في اتجاهات الإنتاج والاستهلاك الثقافيّ ساعد الشّباب لإظهار مواهبهم الإبداعيّة بشكل واضح.

تتّسع شريحة الشّباب في المجتمع لتغدو ركيزة التغيير والقوة الدافعة وراء العديد من الصناعات الثقافيّة، من خلال تناولهم القضايا المتعدّدة، ممّا أدّى إلى إثبات دورهم في الحراك الثقافيّ. وتتنوّع تجربة الشّباب، على سبيل المثال برزت الرواية كشكل أدبيّ مباشر يعكس حاضر الشّباب، ويغطّي رؤاهم المستقبليّة، وهو ما أتاح لهم مساحة للتعبير عن ذواتهم وهُويّتهم عبر السرد، بعيدًا عن القوالب التقليديّة التي لطالما هيمنت على المشهد الثقافيّ.

لكن هناك تحدّيات في انتشار أدب الشّباب في المشهد الثقافيّ، من أهمّها غياب الدعم الوطنيّ، يؤدّي إلى استثمار التكنولوجيا، واتّخاذ المنصّات الرقميّة لكشف تميّزهم في العمل الثقافيّ كبديل لتعويض ذلك الغياب، لذا توفير ورش عمل للتدريب على الكتابة، والدعم الإرشاديّ، وتمكين الشّباب لتوعيتهم بأهميّة ما يكتبوه، يُعزّز انتشار أدب الشّباب وتأثيره.

كذلك هناك منافسة شديدة يواجهها أدب الشّباب العربيّ مع الأدب العالميّ، ولكن يمكن التغلّب عليها من خلال تطوير جودة الإنتاجات الأدبيّة، والاهتمام بطرح مسابقات أدبيّة للشّباب، والدعم المؤسّسيّ للأدب العربيّ، والعمل على ابتكار أشكال أدبيّة جديدة وتطويرها، أيضًا توافر المحتوى الرقميّ المتنوّع يمثّل تحدّيًا، لكنّ إثراء هذا المحتوى المحليّ وجعله جذّابًا، سَيُلبّي تطلّعات الشّباب.

هناك صراع بين التراث والحداثة، وتساؤلات حول التمسّك بالهُويّة الأصليّة والانتماء الثقافيّ في ظلّ العولمة، ممّا يضع أدب الشّباب في تحدّيات تتعلّق بكيفيّة التعريف عن الذات دون الوقوع في فخ التقليد، وهذا من شأنه أن يُثير تساؤلات حول موقع أدب الشّباب في خارطة الأدب العربيّ المعاصر، لكن يمكن اتّباع إستراتيجيّات متكاملة بين الأنشطة الثقافيّة والحوار الدوليّ؛ لكي يشعر الشّباب بالانتماء لثقافتهم وهُويّتهم.

اليوم أصبح أدب الشّباب يُشاد به على نطاق واسع، فالأدب الجيّد الناجح الخالد هو الباقي، وما سواه يُلقى في هاوية النسيان مهما كان عُمر مَنْ كتبه. يمتلك الوطن العربيّ من الشّباب المتألّقين خارج الحدود، يسطعون بإبداعاتهم، إذ إنّ الأدبيّات ليس لها حدود عُمريّة أو تصنيفات، بل الكلمة هي التي تلامس الروح والوجدان في جميع مراحلها.

# (قادة العقول) للكاتبة الشابّة هبة صلاح الدين: رحلةٌ فكريّةٌ في عوالمَ متعدّدة

أماني خالد الشناق

تُعَدّ هبة صلاح الدين واحدةً من الأصوات الشّابّة الواعدة في عالم الكتابة والتأليف، وقد جاء كتابها (قادة العقول) ليكونَ إضافةً قيّمةً إلى الإبداعات الشّبابية الأردنيّة. يقع الكتاب في خمسة فصول، يتناول كلّ فصل منها عدّة مقالات حول موضوعات متعدّدة ومتنوّعة، ممّا يجعله عملًا شاملًا يمسّ جوانب متعدّدة من الحياة الإنسانيّة.

في الفصل الأول، تستعرض هبة صلاح الدين العديد من القضايا الاجتماعيّة الشائكة، مثل مفهوم الهُويّة والانتماء والتفاعل بين الثقافات، تُظهر الكاتبة في هذا الفصل قدرتها على تحليل الموضوعات الاجتماعيّة بعمق ووضوح، ممّا يجعل القارئ يتفاعل مع أفكارها، ويشعر بأهمية هذه القضايا في حياتنا اليوميّة.

يتناول الفصل الثاني من الكتاب قضايا اقتصاديّة مهمّة، مثل: مفهوم الرفاهيّة، والتنمية المستديمة، والعدالة الاقتصاديّة. تُقدّم الكاتبة في هذا الفصل رؤى قيّمة حول كيفيّة تحقيق التنمية الاقتصاديّة دون المساس بالقيم الاجتماعيّة والبيئيّة، وتُظهر هبة صلاح الدين في هذا الفصل قدرتها على التفكير النقديّ والتحليليّ، ممّا يجعل القارئ يتساءل عن الكثير من الأفكار الشائعة حول الاقتصاد.

يُركّز الفصل الثالث على أهميّة التفكير الناقد في حياتنا، حيث تُقدّم الكاتبة العديد من النصائح حول كيفيّة تنمية مهارات التفكير النقديّ والتحليليّ، تُظهر هبة صلاح الدين في هذا الفصل قدرتها على تبسيط المفاهيم الفلسفيّة المعقّدة، ممّا يجعلها في متناول القرّاء من مختلف الخلفيّات والاهتمامات.

يتناول الفصل الرابع قضايا بيئيّة مهمّة، مثل: التغيّر المناخيّ، والتلوّث، وحماية الموارد الطبيعيّة. تُقدّم الكاتبة في هذا الفصل رؤى قيّمة حول كيفيّة التعامل مع هذه القضايا بطريقة مستديمة ومسؤولة، تُظهر هبة صلاح الدين في هذا الفصل قدرتها على الجمع بين العلم والفلسفة، ممّا يجعل القارئ يتفاعل مع أفكارها ويشعر بأهميّة العمل البيئيّ.

يُختتَم الكتاب بفصل حول النقد، حيث تُقدّم الكاتبة العديد من النصائح حول كيفيّة تقديم النقد بطريقة بنّاءة وهادفة، تُظهر هبة صلاح الدين في هذا الفصل قدرتها على التفكير النقديّ والتحليليّ، ممّا يجعل القارئ يتساءل عن الكثير من الأفكار الشائعة حول النقد والتواصل.

يُعَدّ كتاب (قادة العقول) لهبة صلاح الدين عملًا فكريًّا مهمًّا يمسّ جوانب متعدّدة من الحياة الإنسانيّة، تُظهر الكاتبة في هذا الكتاب قدرتها على التفكير النقديّ والتحليليّ، ممّا يجعل القارئ يتفاعل مع أفكارها ويشعر بأهميّة هذه القضايا في حياتنا اليوميّة، ننصح بقراءة هذا الكتاب لكلّ مَنْ يهتمّ بالفكر والفلسفة والتنمية الشخصيّة.

# الأدباءُ الشَّبابُ والإتْباعُ الشّاذّ في العاميّة

محمد حسين الضامن

الإتباع أو التصاحب، أو التلازم، أو المتلازمات اللفظيّة، أو المشاكلة، أو المزاوجة، وأشهرها الإتباع، كلّ هذه المصطلحات تشير إلى مفهوم واحد، وهو أنْ تتبع كلمةٌ كلمةً تسبقها، بموازاتها وزنًا وحالة إعرابيّة في الفصيحة، وبمماثلتها في معظم أحرفها، ولا سيما في حرف الروي كقولنا: «لا ضَرَبَ ولا هَرَبَ»؛ فالمجانسةُ الصوتيّةُ بين الأولى والثانية قِوامُ الإتباع والغاية الأهم فيه.

ولتحقيق هذه الغاية استعمل العرب أحيانًا ألفاظًا ليس لها معنى أو اشتقاقٌ واضح في اللغة، فتراهم يبتدعون كلمةً جديدة ليس لها قياس أو معنى، وبهذا تخرج هذه الألفاظ عن القياس خروجًا يتغيًّا التوازي بين الأول والثاني، حتى تتحقّق غايتهم الصوتيّة، فيكون الإتباع.

إزاء ما سبق، درست المقالة في بعض الشواهد العاميّة من المستويين اليوميّ والأدبيّ، الإتباعَ الشاذّ عن القياس في العاميّات المنتشرة في بلاد الشام، وبهذا لم تكن هذه المقالة معياريّة؛ إذ لم تُعنَ بإصدار أحكام حول صحة الاستعمال مثلًا، إنّما هدفها العام هو بيان أنّ تحقيقَ الغاية الموسيقيّة التي دونها لا يكون الإتباع، أهمُّ عند المتكلّم من المعايير اللغويّة في لغته الأمّ.

وليست اللهجات العربيّة وآدابها الشعبيّة أقلّ نصيبًا من الفصيحة وآدابها في هذه الظاهرة، فإذا كان الموروث يروي لنا مجموعة تعابير غير قياسيّة يكاد يسهل إحصاؤها، كما هي في كتابي (الإتباع) للقالي (ت356هـ)، و(الإتباع) لأبي الطيب اللغويّ (ت351هـ)، وغيرهما، فإنّ باب الإبداع في العاميّة مفتوحٌ لا يُغلَق؛ ذلك لأنّ الفرد يرتجل الإتباع ارتجالًا ولا يُخطّأ إن خرج عن معايير العاميّة التي يتكلّم بها، فالباحث يعايش هذه الظاهرة، مثلكم، في بيئته، ويرى، كما ترون، عدم ردود أفعال الناس تجاه مَن يبتدع إتباعًا لا يعتمد المعايير لتحقيق الغاية الموسيقيّة، وبهذا يكون الانتهاك اللغويّ، في هذا المقام، غاية ولا يخرق الانسجام Coherence مثلًا.

ومن الأمثلة المشهورة في بلاد الشام: «اتْغَدَّى واتْمَدَّى، واتْعَشَّى واتْمَشَّى»، الكتابة الصوتيّة كالآتي: (it/ġad/dā/wit/mad/dā/<wit/<aš/šā/wit/maš/šā). هذا التعبير – المتضمّن إتباعين – مشهورٌ جدًّا في اللهجات العاميّة في بلاد الشام، ولا سيما في لهجة الباحث، لهجة شمال المملكة الأردنيّة الهاشميّة، ويُلاحظ أنّه يخرج عن معايير العاميّة، فنحن نقول في غير هذا التركيب: «اتْمَدَّدْ» لا «اتمدَّى» كما جاء في الإتباع الأول، ومن ثَمّ كان هذا الخروج بالتخلّص من الدال الأخيرة، والتعويض عنها بإطالة الحركة.

لا شكّ أنّ هذا قد جاء لتحقيق الغاية الموسيقيّة، ازدواجًا مع كلمة «اتغدّى» القياسيّة، والمنتهية بمقطع طويل مفتوح ازدواجًا مع كلمتَي الإتباع الثاني المنتهيتين بمقطع طويل مفتوح أيضًا، لكنّ صامته الشين لا الدال، وهذا يعني أنّ الخرق ليس اعتباطيًّا، إنّما وفق محاكاة الكلمة الأخرى.

ومن الحكم الشعبيّة في بلاد الشام التي تدخل ضمن الأدب الشعبيّ المتوارث شفويًّا، قولنا: «مِنْ طِين بْلادَكْ لُطْ عَلَى خْدادَكْ»، والآتية كتابتها الصوتيّة: (min/ṭī/nib/lā/dak/luṭ/<a/lāḥ/dā/dak) تقال هذه الحكمة في المملكة الأردنيّة الهاشميّة لمَن يريد أن يختار شيئًا من غير طبقته،

أو بلاده، أو محافظته، أو قريته... إلخ، وكثيرًا ما تقال عند اختيار الزوج بتوجيه أحد طرفي الزواج لاختيار شخص مواز له في العرق، أو العائلة، أو المستوى الاقتصاديّ أو العلميّ... إلخ.

والخَدُّ في لهجتنا يُجمَع على خدود، وبهذا يكون القياس أن يقال: «خدودك» في الحكمة لا «خدادك»، فالفتحة الطويلة في «خدادك» منقلبة عن الضمة الطويلة القياسية على الأصل، وهذا الإعلال ليس قياسيًا بطبيعة الأمر، لكنّه متواز مع لفظة «بلادك»؛ بغية تحقيق الغاية الموسيقيّة بالحصول على قافية واحدة هي «دادك»، مع اختلاف الصامت الأول.

لا شكّ أنّ هذه الغاية الموسيقيّة هي التي جعلت هذه الحكمة الشعبيّة تنتشر بين الناس، دون أن يُصحَح، مطلقًا، انتهاكُها الصوتيّ الصريح، بل إن مَن يقول: «خدودك» في هذا الشاهد سيُخطّأ، وقد حدث هذا الأمر أمامي سابقًا، فكأنّه خرج عن القياس عندما التزم به في مثل هذه الحالة، وهذا يؤكّد لنا أنّ الغاية الموسيقيّة هي المعيار الأهمّ هنا، لا المعايير اللغويّة.

ويرد مثل هذا ارتجالًا في حياتنا اليوميّة، فذات يوم، سألنا صديقًا لنا في جلسة الأصدقاء، بعد أن كان يعمل في دولة الكويت الشقيقة: «نَاوي تَرْجَعْ عَلكُويْتْ؟»، فأجابنا منفعلًا: «لاااهْ! خَلَصْ، لا كُويْتْ وَلا مُويْتْ». والآتي كتابة آخر رده الصوتيّة: (lāk/wēt/wa/lam/wēt). يُلاحظ أنّ المجيب قد ابتدع إتباعًا خارجًا عن قياس لهجتنا، بقوله: «مُويت»، فليس لهذه الكلمة معنى، لكنّها أكّدت عدم عودته، وعدم ذهابه إلى أيّ بلد آخر غير الكويت الشقيق، وهذا يعني أنّها أدّت المرجوّ منها في خطابه.

ما يهمّنا في هذا المقام، أنّها جاءت متوازيةً موسيقيًا مع لفظة «الكويت»، والكلمة الجديدة، بطبيعة الحال، لا تنتهك معيارًا من المعايير اللغويّة دون آخر؛ وذلك لأنّنا لا نجد نموذجًا معياريًا نقيس عليه أصلًا.

ومن الآداب الشعبيّة أدب (العتابا)، الذي تعود بداياته إلى القرن السابع الهجريّ، حيث نشأ في فلسطين، ثم انتشر في أنحاء بلاد الشام والعراق، وهو يتكوّن من بيتين مشطورين، يوحّدهما وزن خاص، وأول ثلاثة أشطر فيهما تنتهي بجناس تام غالبًا، وكثيرًا ما تخرج إحدى الألفاظ الثلاثة التي بينها الجناس التام عن معيار العاميّة المنظوم بها؛ بغية تحقيق الموسيقا بينها.

وهذا ما يسمح لنا أن نساوي هذه الحالة بالإتباع، فالتأثير الموسيقيّ في الخروج عن القياس واحد، وهو يشبه في بنائه الحكمة الشعبيّة السابقة، ناهيك بأنّ هذا الخروج يزول عندما تقال اللفظة وحدها، كما هو الحال في قولنا «خدودك» في غير الحكمة. وبما أنّ بنية الإتباع متباعدة هنا لا متتالية كما هو الأشهر دون الحكمة السابقة، أطلقنا على هذا النوع مصطلح «الإتباع المتباعد»، والشاهد الذي اخترناه من أدب العتابا، هو قول جاسم السامرائي في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم:

أَنْـــوارِ المِصْـــطَفَى بِـالـكُونِ عَـلاَتْ
وِخَـلْـتْ بِكْـــبُودِ الـعِـدى عَـلاَتْ
حِـسـافَةْ الـشّـرِكْ ضِـدْ الـدّيـنِ عَـلاتْ
عَـكَـبْ طَـهَ المُـشَـفَـعْ وِالـصّـحَـابْ

نلحظ تكرار كلمة «عَلَاتْ» ثلاث مرات، والأولى منها بمعنى ارتفعَتْ، والثالثة منها تؤوّل «على اللات»، ومعروف أنّ «اللات» إلهٌ من آلهة العرب في عصر ما قبل الإسلام، ويقال إنّها إلهة أنثى؛ فكأنّ التاء للتأنيث، وما يهمّنا أنّ التاء ملتزمة بالمعيار، وهذا يعني أنّها مثل الأولى تخلو من الانتهاكات اللغويّة.

أمّا العين، فهي حرف الجر «على»، وكثيرًا ما يخفّف حرف الجر «على» بحذف مقطعه الصوتي الطويل المفتوح (a/lā = <a>)، وقد أشير إلى هذا في الشاهد السابق. أمّا الثانية منها التي هي موطن الشاهد هنا، فمعناها الأوجاع والآلام، فهي جمع كلمة «عِلَة» التي تدلّ على المرض أو الألم، وبهذا

يكون الأصل فيها أن تأتي بكسر العين «عِلاَت»؛ بوصفها جمعَ مؤنث سالمًا للفظة علَّة، لكنّها خرجت عن القياس بإبدال الكسرة فتحة؛ لتحقيق الغاية الموسيقيّة الإتباع المتباعد، بتحقيق الجناس التام الذي اقتضاه فنّ العتابا.

يتأكّد لنا الآن ممّا سبق، أنَّ المتكلّم يخرق هذه التعابير الإتباعيّة الشاذّة؛ لتحقيق الغاية الموسيقيّة، وأنَّ هذا الخرق لا يكون اعتباطيًا بالمطلق، إذ يقيس كلمة من التعبير الإتباعيّ على الأخرى، وهذا يسمح لنا أن نقول – وإن لم تكن مقالتنا معياريّة في جوهرها كما أشرنا –: إنَّ الانتهاك في الإتباع يسير وفق قانون يوازي مفردة مع أخرى، فإنْ قُصِد التوازي فعلًا، يبقَ التعبير في حرم لغته؛ لأنّه خرج بغية غاية مقصودة، وإن لم يكن كذلك، فجديرٌ به أن يوصف بالشاذّ فعلًا، وأن يفقد نصيته.

ونُضيف هنا، أنَّ عدم انفعال الناس دليل على أنَّ الخروج عن المعايير لا يجعل الاستعمال خاطئًا، بل إنَّ القائل يخرج عن القياس عندما يلتزم بالمعايير في مثل هذه الحالة! وأخيرًا، فلقد اصطلحنا مصطلح «الإتباع المتباعد» في مناقشتنا أدب العتابا، وهو مصطلح ما زال يقبل الإيجاز والأخذ والردّ من القُرّاء، لكنّه الآن أدّى عمله المرجوّ في المقالة.

• لوحة للفنان الفرنسي كلود مونيه

# الملكُ عبدُ الله الأوّل شاعرًا

معتصم النداف

يُعَدّ الملك عبد الله بن الحسين هو المؤسّس لإمارة شرق الأردن عام 1921م، لتمضي نحو الاستقلال والتحرّر من قيود الاستعمار وسطوته. وبالإضافة إلى تلك الشخصيّة القياديّة الفريدة، ظهر اهتمامه بالجوانب الأدبيّة؛ فقد كان شاعرًا، لا سيما أنّه أَوْلى الشعرَ اهتمامًا واضحًا، فعبّر به عمّا يجيش بخاطره من مشاعر جيّاشة بذائقة لا مثيل لها.

واتّصف - رحمه الله - بثقافة واسعة وغزارة في العلم، فكان كثير الاطّلاع على الآداب والعلوم المختلفة، فهو رجل جادّ ومخلص، وله إسهامات ثقافيّة وأدبيّة، ووطنيّة وقوميّة وإصلاحيّة، فنظم العديد من القصائد التي صوّرت واقع الأمة العربيّة، ودعت لوحدة الصف العربيّ، فمجّد من خلالها بطولات العرب لاستنهاض الهمم والتأثير في النفوس، من دافع قوميّ ووطنيّ؛ ليصبح شعره مُحمَّلًا بالمشاعر الجيّاشة، وبنبرة صاخبة.

وقد تتلمذ على يد علماء كبار، فتعلّم القرآن الكريم على الشيخ علي المنصوري، والشيخ ياسين البسيوني، ثم انتقل إلى الطائف ليبدأ رحلة تعلّمه للكتابة على يد عدد من كبار الشيوخ آنذاك، ثم تابع دراسته في الآستانة بعدما سافر لها ليلتحق بوالده الشريف حسين، فتعلم القراءة والكتابة، وأبحر في علوم القرآن الكريم، وعلم السنة النبويّة، وتعلم اللغة التركيّة.

ولا شكّ بأنّ الأحداث السياسيّة آنذاك كانت لها مساهمة فاعلة، ودافع حقيقيّ لإشعال فتيل الشعراء، ونمو شعرهم في ظلّ ويلات الحروب، خصوصًا في مرحلة ما بعد الحكم العثمانيّ الذي عانوا منه كثيرًا، فغدا الشعر منبرًا يعبّر من خلاله الشعراء عن

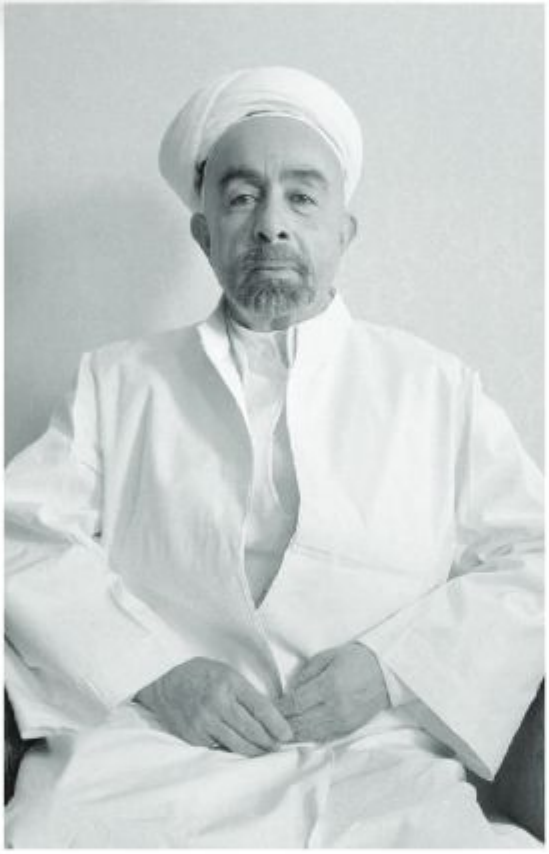

تطلّعات أبناء أمّتهم نحو التحرّر والإصلاح، بعدما آمن – رحمه الله – بأنّ الشعرَ خيرُ وسيلة وأنجع طريقة للتعبير الصادق عن مشاعر الأمّة وهمومها، وتطلّعاتها وآمالها، ووصف واقعها الراهن.

فالمكان الذي كانت تعقد فيه الاجتماعات السياسيّة والثوريّة، هو ذاته المكان الذي كانت تنطلق منه المساجلات الشعريّة، والمناقشات العلميّة والنقديّة الجادّة، والندوات الأدبيّة مع ثلّة من الشعراء الكبار، أمثال: الشاعر مصطفى وهبي التل الملقب بـ(عرار)، والشاعر فؤاد الخطيب، والشاعر عبد المنعم الرفاعي، وغيرهم.

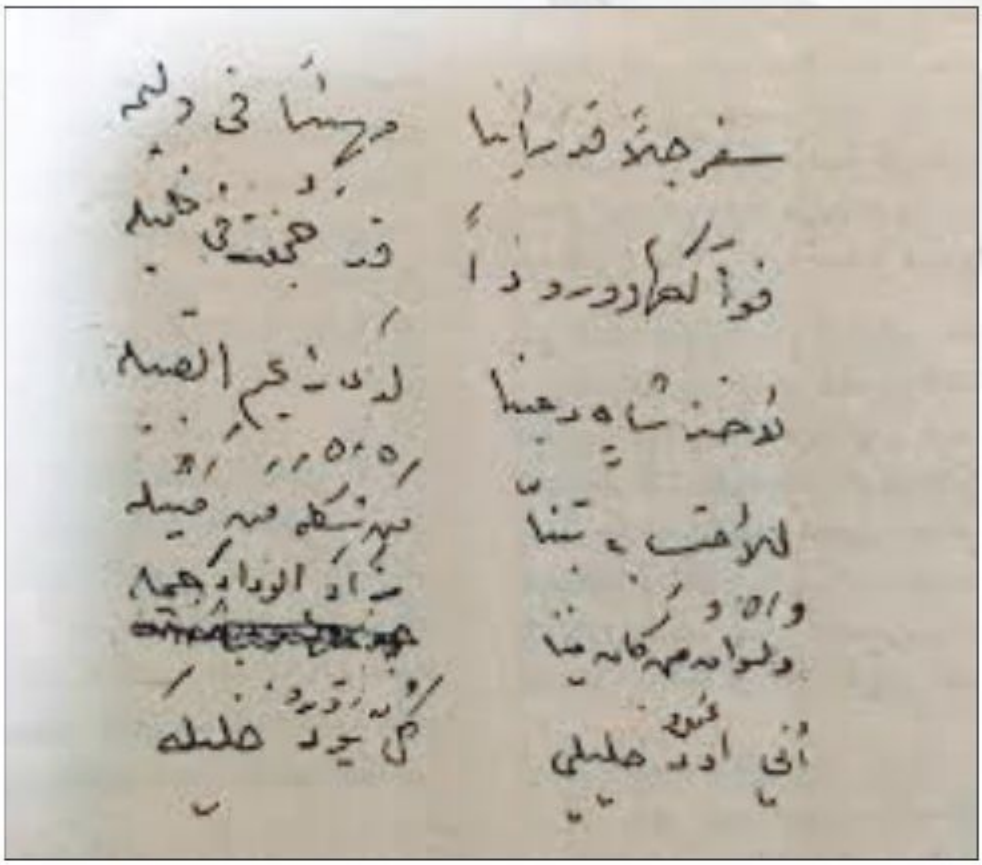

• قصيدة للملك عبدالله الأول بخط يده في وصف وليمة دليوان باشا

كان الملك عبد الله الأول شاعرًا فذًّا، آمن بالقلم، وسعى جاهدًا لاستقطاب الشعراء الآخرين من مختلف الدول، فشاركهم بقصائد متعدّدة، مستخدمًا اسمه الصريح تارة، واسمه المستعار تارة أخرى، مُعبّرًا بها عن واقع الأمة وحاجتهم الماسّة لوحدة الصف العربيّ في تحقيق الذات، نبع ذلك من إحساس قوميّ عالي النبرة، معتبرًا أنّ الشعر سلاح فتّاك لا يقلّ أهميّةً عن فعل الرصاص، فهو يحرّك النفوس، ويستنهض الهمم، ويبعث الطاقات.

إلى جانب ذائقته الشعريّة امتلك – رحمه الله – ذائقة نقديّة، وقدرة واسعة في بحور الشعر وقوافيه وأوزانه، مكّنته من إلقاء آرائه النقديّة بثقة مطلقة، فيقول تيسير ظبيان فيه: «لقد أحببت الأمير لثلاث: صداقته ودماثته، وصلابة وقوة ذاكرته، وسلامة طويّته وصفاء سريرته، وحدبه على رعيته، وسعيه لتوحيد أمته، وأكبرت فيه، حسن توكّله، ورسوخ إيمانه، وحرصه على شعائر دينه، واستهواني وقار مجلسه، وطلاقة لسانه، وطلاوة حديثه، وغزارة علمه، وسعة اطّلاعه، ولا سيما في الدين والأدب».

فالمتأمّل في شعر الملك المؤسّس سرعان ما يلحظ غزارة المعنى، وسهوله الأسلوب، وعمق المعاني، ووضوح الفكرة، وجزالة اللفظ، مبتعداً عن التكلّف في صناعة الألفاظ، كأنّ الألفاظ تلين له، كما حافظ على الوزن والموسيقى، فاستطاع أن يترجم مشاعر الأردنيّين بأسلوب رصين تنقّل من خلاله في رحاب الدنيا الواسعة.

وبالتوقّف عند بعض النماذج الشعريّة عند الملك عبد الله الأول – رحمه الله – سرعان ما نلمس صدق

الكلمة، وقوة العبارة، وعمق المعنى، وجزالة الأسلوب، ووضوح الفكرة، وتنوّع موضوعاته، فطرق الغزل، والرثاء، والوصف، والمعارضات، والحنين والذكريات، بالإضافة لدعوته للوحدة العربيّة، مستعينًا بما نهل من ينابيع الفصاحة العربيّة، وبثقافته الواسعة، وبمعجمه الشعريّ الكبير، فاتّسم شعره بقوة الأداء وعذوبة الموسيقى.

ومن الموضوعات التي طرقها - رحمه الله – ما قاله في حنينه للحجاز مُعبّرًا عن شوقه العظيم ومحبّته له، واصفًا حبّه الحقيقيّ وشوقه الصادق، فيقول:

تلك حمالتي إلى خير أرض
ضمّها النور والهدى والسناءُ
إن دنَتْ بي إلى مقام كريم
فهي عتقٌ لا يعتريها شقاءُ
هو مقعدي وغايتي ومرامي
أن أصله فتلكم النعماءُ

وأيضًا ما قاله في دعوته لوحدة الصف العربيّ تحت راية عربيّة من دافع قوميّ في صدّ العدوان والطغيان، وردّ الظلم، وتحقيق الحريّة، والانعتاق من القيود، من خلال السير على خطى الحسين بن علي – رحمه الله – في ثورته المقدّسة ضدّ الطغيان، مؤكّدًا أحقيّة بني هاشم في حكم العرب، إذ قال:

ولقد عُرفتُ أسلافكم في بلادهمْ
يُحامونَ عن أحسابهم بالأعنّةِ
كغالب أو كابنِ لعَونِ محمد
ملوكُ البطاحِ السّابقينَ الأجلّةِ
فَسيروا على نهجِ الحُسين إمامكُمْ
فإنْ أنتمُ سِرتُم فليسَ بميّتِ

ومن الموضوعات التي طرقها الشاعر الملك، الفخر بأمجاد الأمة العربيّة وتاريخها المُسطّر بدماء الأبطال الذين كانوا سادة الدنيا، مستذكرًا رموزها الأشاوس وما حقّقوا من انتصارات مذهلة، حقّقت الصحوة العربيّة والمجد العربيّ، فيقول:

ألا يا لقومي من ملوك ومعشرٍ
ومَن لأصول العرب نسلاً قد انتمى
ألا فاذكروا عهداً لثاني خليفة
أتى القدس غلابًا وللخصم أرغما
وذاك صلاح الدين في وقت عسرة
تصدّى لأعداء وذاد عن الحمى
وفي عهدكم هذا تبدّت سحابةٌ
لدى الأفق الغربيّ فالأفق أقتَما
وعارٌ على راعي الحمى أن يرى الحمى
محالًا لصهيون ومن جاء مقدما

يشير الشاعر الملك في هذه الأبيات لرموز عربيّة إسلاميّة كان لها وقع عظيم في التاريخ العربيّ، إذ سجّلت العديد من البطولات بأن تصدّت لاعتداءات العدو وردعته، تمثّلت في تحرير القدس الشريف.

يستدعي الشاعر شخصيّات تاريخيّة وإسلاميّة تمثّلت في عمر بن الخطاب فاتح القدس الأول، وصلاح الدين الأيوبي مُحرّرها من أيدي الصليبيّين، محاولًا شحذ الهمم من خلال السير على طريقهم في إزالة الخطر الصهيونيّ وسيطرته على القدس، وإزالة الحزن الذي غطّاها بسبب الاحتلال الجائر، وفي هذه الأبيات أيضًا إشارة واضحة في التحريض ضدّ العدو الغاصب، كأنّه يطالب الجميع بالالتفاف تحت راية الثورة لنيل الكرامة، وصدّ المعتدي، واسترداد المجد المسلوب.

# الذِّكرياتُ الزّائفةُ المُشتركة...

## ماذا يكمنُ وراءَ ظاهرةِ (مانديلا)؟

ترجمة: رند جميل المحمد

**هل ستثق في ذكرى أشعرتكَ أنّها حقيقيّة كباقي ذكرياتك، وإن أكّد آخرون أنّهم يتذكّرونها كذلك؟ ماذا لو تبيّن أنّ هذه الذكرى خاطئة؟!**

**سُمّيَ هذا الحدثُ بظاهرة «مانديلا» من قبل (فيونا بروم)، التي تصف نفسها مستشارة الخوارق، بعد أن اكتشفت أنّ أشخاصًا آخرين شاركوها ذاكرتها الخاطئة لـ(نيلسون مانديلا)، قائد الحقوق المدنيّة من جنوب إفريقيا عن وفاته في السجن عام 1980م، فهل التفسير الفعليّ لسبب حدوث ذكرى زائفة مشتركة خللٌ في المصفوفة، أم أنّ هنالك تفسيرًا آخر لما يحدث؟**

**تنسب (بروم) هذا التفاوت إلى ميكانيكا الكَمّ للعوالم المتعدّدة أو المتوازية، فعندما لا تُراقَب الإلكترونات والجسيمات الأخرى (الدون ذريّة)، تنحرف كموجات لتتصرّف كجسيمات عندما تُراقَب، باختصار كأنّ هذه الجزيئات موجودة في أماكن متعدّدة في آنٍ واحد، إلى أن تتمّ مراقبتها مباشرة.**

شرح الفيزيائيّ الحائز على جائزة نوبل (إروين شرودنغر) هذا المفهوم الغريب من خلال التجربة الفكريّة (قطّة شرودنغر) عام 1935م، فلو وضعت قطّة في صندوق مع كاشف اضمحلال إشعاعيّ مُعَدّ لكسر قارورة سمّ عند تشغيله، فإنّ جسيمًا متحلّلًا موجودًا على شكل موجة سيحمل واقعين متزامنين على المستوى العيانيّ، أحدهما تكون فيه القطّة حيّة والآخر تكون فيه ميتة.

وبالرغم من أنّه يمكن للمرء – وعبر الملاحظة – أن يرى القطّة إمّا ميتة أو حيّة، فقد تكهّن بعض العلماء كالراحل (هيو إيفيريت الثالث) – الذي اقترح لأولّ مرّة تفسير الأكوان المتعدّدة عام 1957م – أنّ كلا الواقعين موجودان، ولكن في كونين منفصلين متوازيين.

من المهمّ – أن يوضع في الاعتبار – أنّ تفسير العوالم المتعدّدة قد وُضِعَ لشرح نتائج الاختبارات الفيزيائيّة، وليس لظاهرة (مانديلا)، ومع ذلك تعتقد (بروم) أنّ ذاكرتها المشتركة ليست زائفة، بل هي وآخرون يتذكّرون ماضيًا آخر في عالم موازٍ وخط زمنيّ آخر، اشتبك بطريقة ما بخطنا الزمني الحاليّ.

وقد قام أشخاص على موقع (ريديت) ومواقع مختلفة بتشخيص حالات أخرى من ظاهرة (مانديلا)، منها الذكرى المشتركة لسلسة كتاب الأطفال (دببة بيرنستون)، التي كانت تُلفَظ (دببة بيرنشتاين)، وفيلم آخر بعنوان (شازام) في تسعينيّات القرن العشرين، ببطولة الكوميدي الأمريكيّ (سندباد)، فرغم كلّ ما جرى، لا يوجد نكران بأنّ الذكريات الزائفة المشتركة موجودة، فهل بإمكان علم الأعصاب إعطاء فرضيّة بديلة لما يحدث بالفعل بعيدًا عن فيزياء الكَمّ؟

**هناك مفاهيم متعدّدة قد تفسّر شيئًا بهذه الغرابة، ومنها:**

من الضروري معرفة أنَّ الذاكرة مؤلَّفة من شبكة من الأعصاب الدماغيّة التي تخزّن الذكرى، ويُطلَق غالبًا على الموقع الفيزيائيّ لها، اسم «البصمة» أو «أثر الذاكرة»، فأثناء عملية التثبيت، ينتقل أثر الذاكرة من مواقع مؤقتة مثل (الحصين) إلى مواقع تخزين دائمة في الدماغ. وتلعب مرحلة ما قبل التعلّم في تشكيل إطار من الذكريات المتشابهة التي تُخزّن بالقرب من بعضها بعضًا، والذي يُعرَف باسم «المخطّط».

ومن الأدلّة على ذلك دراسة أجريت عام 2016م، حول الذاكرة الدلاليّة، وهي ذكريات طويلة الأمد، من أفكار ومفاهيم مجرّدة من التفاصيل الشخصيّة، ولتحليل هذا الإطار استخدم الباحثون التصوير بالرنين المغناطيسيّ؛ لإظهار أنَّ الكلمات المتشابهة تُخزَّن في مناطق متجاورة من الدماغ، وقاموا بإنشاء خريطة دلاليّة للّغة في القشرة الدماغيّة، وأكّدت دراسة أخرى بأنَّ أثر الذاكرة المشتركة يُنظَّم بطرق شبيهة بين الأشخاص.

وبالرغم من أنّنا نعتقد أنَّ الذكريات تتعزّز عند استرجاعها، فإنّ الحقيقة أعقد من ذلك بكثير، فاسترجاع ذكرى ما يعيد تنشيط الخلايا العصبيّة المُكوِّنة لأثر الذكرى، ممّا يُحفّزها لتكوين روابط جديدة، ثم تستقرّ بعدها الدوائر العصبيّة المُعدَّلة مُجدَّدًا، ويعاد ترسيخ الذكرى، إذ إنَّ إعادة الترسيخ قابلة على تعزيز التعلّم مع الوقت، من خلال تقوية الروابط العصبيّة، والسماح لها بإقامة ارتباطات جديدة.

لكن من الواضح أنَّ تفكيك أثر الذاكرة وإعادة تركيبه، يجعلها عُرضةً لفقدان دقّتها، على سبيل المثال: يتعلّم معظم الأمريكيّين في مرحلة ما من دراستهم، أنَّ (ألكساندر هاملتون) كان أبًا مؤسّسًا،

وليس رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكيّة. مع ذلك، عندما بحثت دراسة حول الذاكرة الزائفة في هُويّة من يعتبرهم معظم الأمريكيّين رؤساء للولايات المتحدة، كان المشاركون أكثر ميلًا لاختيار (هاملتون) بشكل خاطئ، ولم ترجح كفّة العديد من الرؤساء السابقين.

ويرجح أن يكون هذا بسبب قيام الخلايا العصبيّة المسؤولة عن معلومات (هاملتون) بالنشاط، في الوقت ذاته الذي نشطت فيه الخلايا العصبيّة المسؤولة عن معلومات الرؤساء السابقين، ولأنّ الخلايا العصبيّة في هذه الحالة يتّصل بعضها ببعض، قد يصبح الارتباط بين الرؤساء السابقين وهاملتون قويًا كفاية لأن تتذكّر بشكل خاطئ هاملتون كرئيس سابق.

قد تساعد دراسة (هاملتون) في تفسير سبب كون مجموعة من الأشخاص يتشاركون في ذكريات خاطئة، كما حدث في لغز (شازام)، إذ كان هناك في البداية فلم أطفال بعنوان (كازام)، عُرِضَ في عام 1996م، ببطولة (شاكيل أونيل) الذي قام بدور الجنّيّ فيه.

بيّنت هذه الدراسة أنّ بعض الأشخاص كانوا يتذكّرون بشكل خاطئ فلمًا آخر، وربما نسخة مُقلّدة من (كازام) بعنوان (شازام)، ببطولة الكوميديّ (سندباد) كجنّيّ، وعلى الرغم من أنّ فيلم (شازام) لم يوجد قطّ، فإنّ هناك مئات الأشخاص على الإنترنت يدّعون تذكّره.

هنالك عدة أسباب لذلك، أوّلها كثرة الارتباطات العامة التي تزيد من احتماليّة ظهور ذاكرة خاطئة، وكان عرضُ فيلمين بأفكار متشابهة أمرًا شائعًا في تسعينيّات القرن العشرين، فقد كان لـ(سندباد) فيلم آخر صدر في نفس العام، بعنوان (الطفل الأوّل)، وهي فكرة شبيهة بالفكرة التي يدور حولها فيلم (كازان)، إذ تتناول قصة بطل يأتي لنجدة صبيّ ضالّ، وكان (سندباد) قد أصدر سابقًا فيلمًا بعنوان (ضيف البيت) عام 1995م، وكان مُلصَق الفيلم يُظهر صورةَ شخص يخرج رأسه من صندوق بريد، وربما يشبه هذا بشكل تقريبيّ خروج جنّيّ من المصباح.

سندباد هو اسم عربيّ، وقصة (سندباد البحار) أحيانًا ترتبط بلقاءات مع الجنّ، كما أنّ رأس سندباد الأصلع ولحيته الصغيرة، تُمثّل صورة الجنّيّ النمطيّة التي تُصوَّر في الميديا. كما ارتدى الكوميديّ (ديفيد آتكينز)، المُلقّب بـ(سندباد)، زيّ جنيّ في ماراثون للأفلام استضافه في تسعينيّات القرن العشرين، والذي ساهم بشكل حتميّ في ترسيخ ذكرى سندباد لاعبًا دور الجنيّ، وإلى جانب ارتباطات مماثلة مهّدت الطريق لتشكيل ذاكرة زائفة، هناك عوامل أخرى في هذه الحالة، كالتلفيق والتأثير بالإيحاء.

يروي مستخدم على موقع ريديت (EpicJourneyMan) تفاصيل دقيقة للغاية عن فيلم (شازام)، وذلك خلال فترة عمله في متجر فيديو في تسعينيّات القرن العشرين، يصف في منشوره شراءه نسختين من الفيلم، واضطراره لمشاهدة كلّ نسخة عدّة مرّات؛ للتأكّد من تلفها بعد شكاوى المستأجرين، ثم شرع في وصف قصة الفيلم بشكل دقيق.

فإذا لم يكن (شازام) موجودًا، فكيف لديه ذكرى دقيقة كهذه عن الفيلم؟ من المرجح أن يكون هذا مثالًا عن التلفيق، أو محاولة الدماغ لملء فراغات الذاكرة المفقودة، بإضافة حقائق وتجارب مُلفّقة، فعلى عكس الكذب، لا يعتمد التلفيق الخداع، والشخص الذي يلفّق الأحداث يعتقد تمامًا أنّ التفاصيل المتذكّرة حقيقيّة.

يرتبط التلفيق بمجموعة واسعة من الاضطرابات العصبيّة، بما في ذلك السكتة الدماغيّة، وإصابات في الدماغ، وألزهايمر، ومتلازمة كورساكوف، والصرع، والفصام، لكنّها يمكن أن تحدث أيضًا في حالات أصحّاء، كما تشهد على ذلك حالة ذكرى الرئيس (هاملتون).

تزداد حالات معيّنة من التلفيق لأشخاص أصحّاء مع التقدّم في السنّ، ويُعتقَد أنّ ذلك يعود لتغيّرات في الفصّ الدماغيّ الأنسيّ مرتبطة بالعمر، بما في ذلك الحصين وقشرة الفصّ الجبهيّ.

إنّ هذه المناطق الدماغيّة مهمّة لترميز الذاكرة واسترجاعها، وتشير دراسات التصوير بالرنين المغناطيسيّ خلال العقد الماضي، إلى أنّ انخفاض عمل هذه المناطق هو السبب الكامن وراء الذاكرة الخاطئة،

ويبدو أنَّ التلفيق أكثر قابليّة لأن يحدث عند إعادة سرد الذكريات بشكل متكرّر؛ بمعنى آخر، من المرجّح أنَّ شخصًا مثل (EpicJourneyMan)، الذي كان يطلب بانتظام مقاطع فيديو للأطفال، ويشاهدها للعثور على أشرطة تالفة، أكثر عرضة لتلفيق ذكرى معيّنة من تلك المادة.

وثمّة عامل ثالث يسهم في ظاهرة (مانديلا)، ألا وهو قابليّة التأثر؛ أي الميل إلى تصديق ما يشير إليه الآخرون بأنّه صحيح، فعندما تُنشَر معلومات مُضلّلة، قد تؤثّر سلبًا على دقّة الذاكرة الموجودة، ولهذا السبب تحديدًا يمكن للمحامي في المحكمة الاعتراض على الأسئلة الإيحائيّة، التي تشير لإجابة مُحدَّدة.

باختصار، السؤال الإيحائيّ: "هل تتذكّر فيلم التسعينيّات (شازام) الذي قام ببطولته سندباد في دور جنّيّ؟"، لا يوحي بوجود فيلم كهذا فحسب، بل قد يُدخل أيضًا ذكرى خاطئة عن مشاهدته. وعلى الرغم من أنّه قد يكون من المغري اعتقاد أنَّ ظاهرة (مانديلا) دليل على وجود عوالم موازية، أو أنَّ كوننا مُجرَّد محاكاة مُشوَّشة، فإنّه يجب على العالم الحقيقيّ أن يختبر فرضيّته البديلة بمحاولة دحضها، وفي ضوء الظواهر المعرفيّة التي قد تؤدّي إلى ذكريات زائفة مشتركة، فمن غير المحتمل أن يكون بعضنا من عالَم موازٍ يتقاطع بالخطّ الزمنيّ للعالَم الحاليّ.

ومع ذلك، تظلّ ظاهرة (مانديلا) حالة مُدهشة في غرائب الذاكرة البشريّة، أمّا بالنسبة لمن يحبّون التفكير عن كيفيّة عمل الدماغ، فربما يكون هذا مثالًا عن غرابة الحقيقة أكثر من الخيال.

• لوحة للفنان بابلو بيكاسو

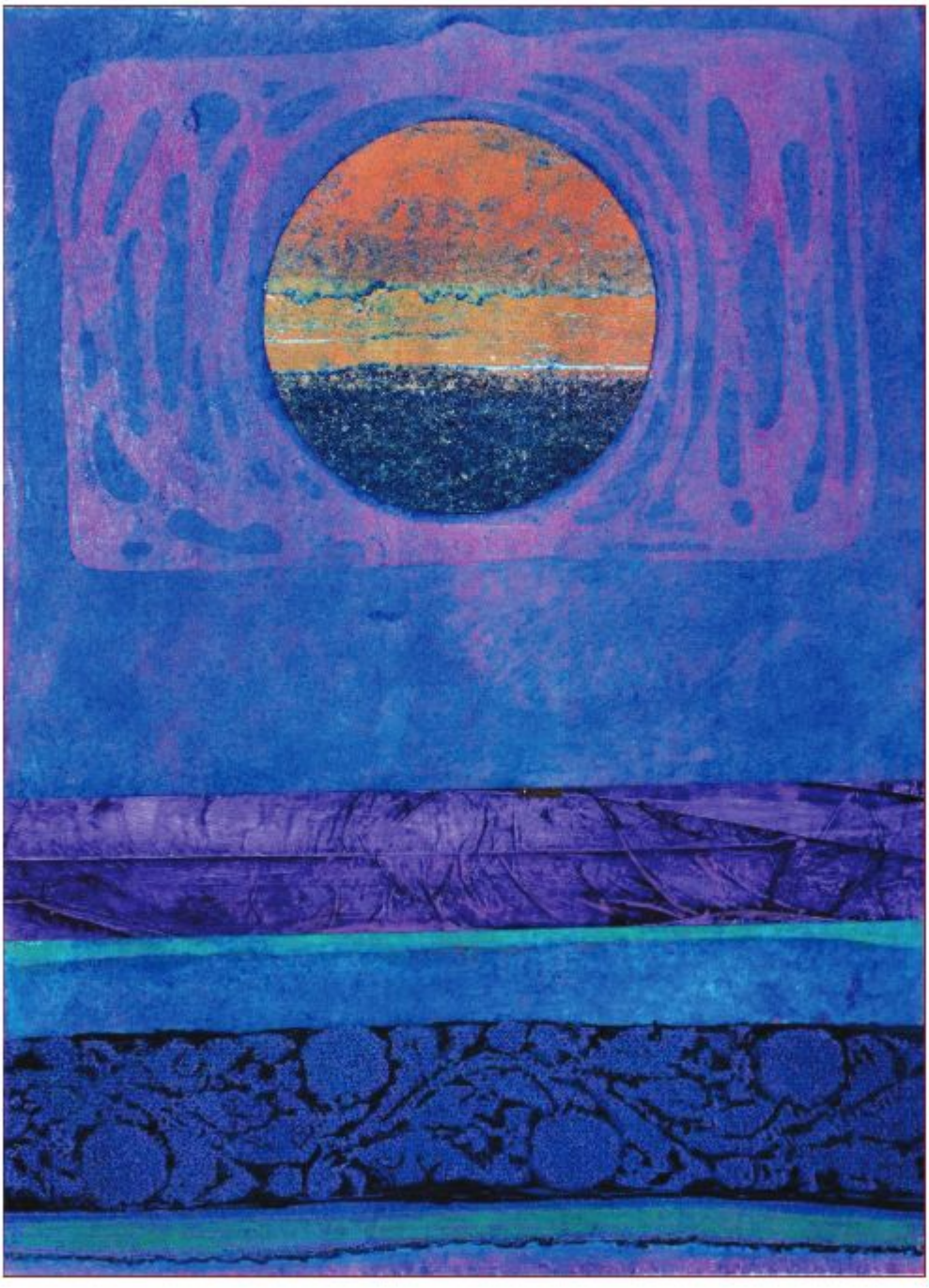

• لوحة للفنان ياسر الدويك

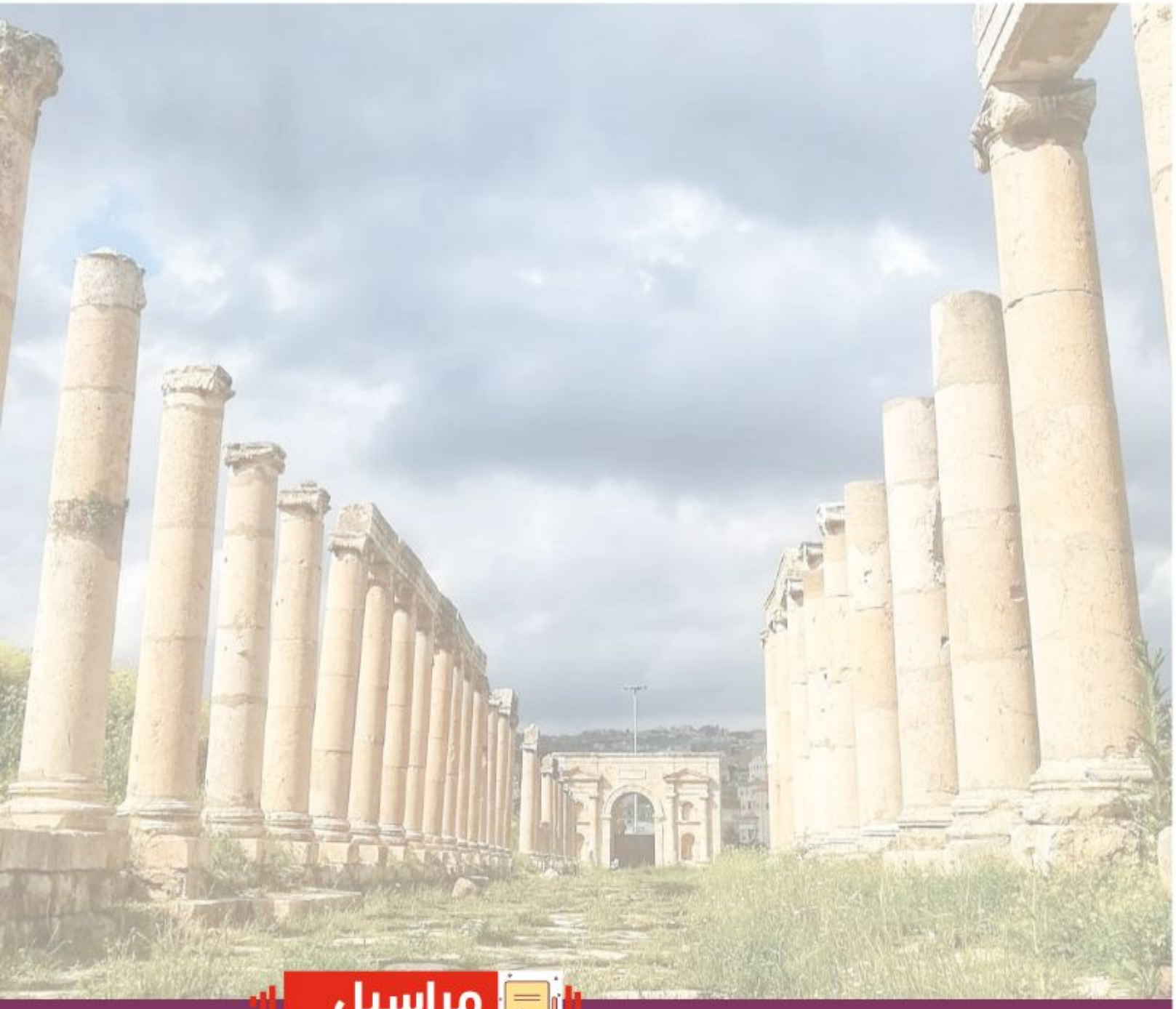

مراسيل

# الاعتبارُ الماهويّ للآلةِ الذكيّة: العلاقةُ بينَ الطبيعةِ البشريّةِ والروبوت

ميثم الخزرجي

# الاعتبارُ الماهويّ للآلةِ الذكيّة: العلاقةُ بينَ الطبيعةِ البشريّةِ والروبوت

ميثم الخزرجي/ (قاصّ وباحث في الشأن المعرفي/ العراق)

إنَّ الجدل المعرفيَّ الذي تشكّل حيال السؤال الأخلاقيّ في هذا الأوان المعلوماتيّ، هو كيفيّة منح الآلة الذكيّة أو الروبوت صاحب العقل البرمجيّ وكالةً أخلاقيّةً مطلقة؛ ليكون في مصافّ البشر من حيث التعامل مع مقرّرات الواقع والاستفهامات التي تُعنى بالحياة والمصير، أو نهبه جزءًا من هذه السمات بحسب الحاجة الفعليّة التي تمكّن التقانات البرمجيّة بعموميّتها من أداء مهمّة معيّنة تتّصل قيميًّا مع الآخر البشريّ.

وقد عبّر ويندل فالاخوكولينألين بخصوص هذا الشأن بـ«القواعد الأخلاقيّة الوظيفيّة، التي تسعى إلى تخصيص جزء من المزايا الأخلاقيّة المتوائمة وطبيعة الوظيفة المنوطة إليها، وهذا الرأي قابل للمناقشة من الناحية الإجرائيّة والعمليّة في حال لو تمّ الأخذ به، إذ إنَّ تفصيل الصفات الأخلاقيّة لأيّة آلة تقنيّة ذكيّة تؤدّي وظيفة معيّنة مستقلّة، تخضع لاعتبارات إنسانيّة ونفسيّة، بل اجتماعيّة أيضًا، فالسيّارة ذاتيّة القيادة تختلف اختلافًا كليًّا عن أجهزة الرادار، أو كلب البحث صاحب العقل الذكيّ.

وهنا لا أقصد من حيث نوعيّة الخدمة التي يقدّمها للكائن البشريّ فقط، لكن من ناحية المنظومة المفهوميّة، ونسبة الاستجابة التي على أساسها تستوعب حاجة الآخر، وهل يحقّ لنا أن نهب هذه السمات أم أنّه كائن آليّ في حقيقته، يسير وفق شيفرة برمجيّة لا تخضع لأيّة اعتبارات إنسانيّة، مثل الانفعالات أو السلوك أو طريقة التعاطي مع الخطر؟

وفي حال أقرَّ بإعطاء الآلة الاصطناعيّة وكالة أخلاقيّة مُطلَقة، هل تخضع للنظام الوضعيّ والقوانين العرفيّة والسياسيّة التي تُسَنّ من قبل الدولة، فضلًا عن السياقات الاجتماعيّة والتوجّهات الفكريّة والأيديولوجيّة، أم أنّها معادلة رياضيّة خارجة عن هذا التصنيف؟

ولعلّي أجد أن ثمّة إشكاليّة أخرى تستجدّ إزاء هذا الطرح؛ لكونها سوف تتفوّق بمراحل علميّة وقيميّة على الكائن البشريّ؛ بسبب امتلاكها العقل الذكيّ والمسوّغ الأخلاقيّ في آن؟

لكن بودّي أن أتوقّف عند كُنه هذه الخدمة التي تقدّمها الآلة الذكيّة، وأحقيّة إيفائها للغرض، وهل بالضرورة أن تُكرَّس لهذه الآلة وكالة أخلاقيّة تامّة أو مجتزأة في حال لو ارتبطت بقواعد برمجيّة تنفيذيّة، غايتها تسهيل العقبات وتذليلها؟ وهل يتوجّب عليها أن ترتبط بسمات أخلاقيّة تكون ماهيّتها متّفقة مع الكائن البشريّ؟

ما هي طبيعة العلاقة التي تُنتَج حيال فاعليّة السمة الأخلاقيّة التي مُنِحَتْ للكائن

الذكيّ وبين المُدرَكات الحسّيّة والشعوريّة للإنسان؟ وهل يتوجّب محاسبة الآلة الذكيّة في حال لو تمتّعت بسمات أخلاقيّة كلّيّة أو ضمنيّة؟ وهل من الممكن أن تتعرّض للخطأ أو التوهان أو الغفلة في حال لو عُيّن لها عقل برمجيّ ذكيّ يسير عليه؟ وهل معيار الخطأ ناجم عن امتلاكها وكالة أخلاقيّة؟ بل أيّة أمارة إنسانيّة بشريّة ناتجة عن المشاعر الجوّانيّة التي تشترك العاطفة بها؟

ولماذا هذا الإصرار بمنح الآلة الذكيّة وكالة أخلاقيّة؟ هل ثمّة محاولة جادّة لاستنساخ العقل البيولوجيّ البشريّ إمعانًا للانفجار التقانيّ الذي يولّده الذّكاء الاصطناعيّ؟ لماذا هذا التخوّف من الآلة الذكيّة في حال لو تضمّنت مساحة تفوق الكائن البشريّ من حيث الرؤية والتصرّف والقدرة الذهنيّة والبدنيّة (المادّيّة)؟ هل يفكّر الأخير باستلاب جوهره وتجرّده من الحياة في حال لو اتّخذ الروبوت إمكانيّة حرّة تتعدّى كُنه الإنسان وحقيقته؟ وهل ثمّة صفات أخلاقيّة برمجيّة مُقنّنة تتّفق وطبيعة العلاقة بين البشريّ والآليّ؟ وما هو منسوب المضامين البشريّة مثل الخير والشرّ، والشجاعة والكره، والاختلاجات الذهنيّة والشعوريّة الجوّانيّة؟ وأيّة صفة إنسانيّة أو أخلاقيّة تُخصّص للروبوت أو الكائن التقانيّ الذكيّ؟

في حقيقة الأمر، علينا أن نؤمن إيمانًا مطلقًا بأنّ التحدّيات النفسيّة التي يواجها الإنسان حيال الانقلاب المعلوماتيّ المهول، وما نتج عنه من تصدّر الآلة الذكيّة، أثّر تأثيرًا واضحًا على طريقة تعامله مع الموجودات من حيث اللغة والمنهج، والعلاقة التي تستقرئ نظامه الثقافيّ والمعرفيّ، على الرغم من أنّ (جوانا برايسون) الأستاذة المشاركة في قسم الحاسوب/ جامعة باث، تقول: «إنّ الروبوتات هي أدوات وممتلكات، وليس لدينا أيّ التزامات تجاهها». ما معناه أنّ الآلة الذكيّة ماديّة علميّة غير عضويّة؛ أي ليست بشريّة، ولا نملك ارتباطًا أخلاقيًّا يُعنى بتمثّلاتها على أرض الواقع، وإن كانت تمتلك حالةً من حالات الوعي حيال أيّ مُعضلة تظهر لها، فإنّها تتصرّف على وفق برنامج ذكيّ يخصّ هذه المُعضلة التي يسعى إلى حلّها.

لكن هناك مسألة غاية في الأهمية، هل الطبيعة البشريّة المعنيّة للإنسان هي المُحرّض الرئيسيّ الذي يُعزّز مكانة الروبوت الأخلاقيّة، أم أنّ هذه المكانة تتحقّق بالتتابع على وفق مراحل تُعنى بجوهر الخدمة المُقدّمة من قبل الآلة الذكيّة نفسها؟

لعلّي أجد أنَّ النظرة المُتَّبعة للكائن البشريّ تختلف بين آلة ذكيّة وأخرى، لذا القيمة الاعتباريّة المُدّخَرة لديه من المفترض ألّا تكون على مستوى واحد، وممّا لا شكّ فيه أنَّ هذا التفاوت في الحاجة التي يرومها الإنسان ستخلق منحيين: الأول: المقياس أو درجة الأهميّة التي تُعنى بالآلة نفسها، والثاني: هي الرؤية الخاصة بالإنسان قبالة نوع الخدمة التي تقدّمها الآلة، ومدى تأثيرها عليه.

إنَّ المكانة الأخلاقيّة التي يعتمدها إنسان هذا العالم تأتي على وفق نظام ثقافيّ واجتماعيّ، تُهيّأ وحدته العضويّة من حيث السياق الذي يتعامل به مع الكائنات الحيّة، إن كانت بشريّة أم حيوانيّة، ولعلّها نباتيّة أيضًا، لذا ماهيّة انتخاب النبتة أو الحيوان في المنزل من حيث التربية أو المرافقة، لها أبعادها النفسيّة، فلو كانت الاعتباريّة القيميّة المعنيّة بالكائن البشريّ بالنسبة للحيوان -على سبيل المثال- نظرة مجرّدة لا تنمّ عن وعي بماهيّة الحيوان وكينونته التي لأجلها انتقاه، لكان عبارة عن أداة لهو أو سدّ فراغ ليس إلّا، حتّى مزاولته للفعل الثقافيّ، أو ممارسة الرياضة على اختلاف مساراتها، لها مدلولاتها النسقيّة ومقرّراتها النفسيّة والوجوديّة.

وقد ينتج هذا إحساسًا في ما بعد، باستحداث مكانة أخلاقيّة من دون نيّة مُبيَّتة تتعيّن عن طريق الدربة أو المزاولة كفعل يوميّ، فتكون ثمّة حاجة فطريّة أو عضويّة باستطاعتها أن تُشعره بأنّه حيّ، المعنى الجوهريّ للحياة، أو موجود في هذا العالم، بل تجده متّزنًا حيال اقترانه بهذه الكائنات أو الأفعال.

وهنا سوف يتشكّل نظام حياتيّ من غير الممكن الانسحاب عن طقسه، بل صعب التنازل عنه، وهذا ما ألاحظه مماثلًا ومشابهًا لطبيعة الآلة الذكيّة، التي تقيّم وتعتمد مشروعيّتها حيال الصلة الجوهريّة التي تقدّمها للكائن البشريّ؛ لترتبط معه ارتباطًا سوسيولوجيًا، وحتّى نفسيًا، يؤثر على سياقه العام في كيفيّة التعاطي مع مجريات الحياة.

نقوش

نقوش

# الزَّرقاء.. سيفٌ على خاصرةِ الصَّحراء

محمد راتب العموش

# الزَّرقاء.. سيفٌ على خاصرةِ الصَّحراء

محمد راتب العموش

**هي الزرقاء...**

ولها من اسمها نصيب، عميقةٌ مثل البحر، وفسيحة مثلما السماء، رئة الأردن على مرّ الزمان، وموطن الحضارات التي استقرّت على ضفاف النهر وقرب عيون الماء وجوار الواحات.

كانت الزَّرقاءُ ممرًّا ومقرًّا وملتقىً، بدءًا من طريق تراجان وطريق البخور والحرير، إلى طريق الحج الشاميّ، ومن ثَمّ سكّة حديد الحجاز. ملايينُ البشر الذين مرّوا من هنا، تأثّروا بالمكان وأثّرَ فيهم، فأغنَوا المشهدَ مُشكّلين لوحةً من الندرة أن تجدها في مكان.

في العصر الحديث ما زالت الزرقاء ولّادةً للأدب، ورافدةً للمكوّن الثقافيّ، تُشكّلُ لوحةً فسيفسائيّةً تزخر بألوان شتّى من أطياف متنوّعة، جمعها المكان ذاته.

من غرب المدينة حيث الجبال والغابات، ما زالت ليالي السَّمر تفوح بالشّعر والهيل، وما زالت القصّة تُروى وتُكتَب، وما زال الرُّعاة يبتدعون الأغاني ويقسّمونها على ألحان الشَّبّابة، كيف لك أن تمرّ في تلك الجبال ولا ترى الشيخَ يحلمُ بالمطر ويرقب الغيم على (العالوك)؟!

الشّعرُ ديوانُ العرب، وأهل تلك الجبال سطّروا الكثيرَ من الشعر، ما بين الفصيح والشّعبيّ، وجعلوه قبلةً هوت إليه أفئدة فرسانهم.

في السهول الوسطى حيث ضفّتي النهر، استقرّ الشيشان قبل مئة عام ونيف، خبّأوا في صدورهم هواء جبال القوقاز، وحملوا إرثهم الثقافيّ معهم حيث استقرّوا، فأغنَوا المشهدَ بأشعارهم وأغانيهم

• شارع السعادة في الزرقاء

وموسيقاهم، التي فيها من صلابة الفرسان وشموخ الجبال الكثير.

وملحُ البلاد مسيحيّو الأردن، هم من المكوّنات الأصيلة في الزرقاء، أعطَوا المشهدَ أصالةً ضاربةً في قدم التاريخ، فتقدّم منهم الكثير من مفكّرين وأدباء ومثقّفين، تغنّوا بالأردن وقدّموا الكثير، وأضافوا لونًا يعبق ببخور التاريخ وحبّ البلاد.

أمّا المُخيّمات فحكاية أخرى، عشرات المثقّفين حملوا حُبَّ فلسطين والوفاء لأرضها، وحُلْمُ العودة حاضرٌ دوماً في مُنجَزاتهم الثقافيّة، مئات القصائد التي تتغنّى بكلّ شبر من فلسطين، ودعوات

• الزرقاء الجديدة

للتماسك في وجه المحتلّ، وقصص وروايات كثيرة تسحر القارئ، وتعزّز في صدره حُبَّ البلاد المسلوبة.

وفي الزَّرقاء مدينة الجند والعمّال، خليطٌ بشريٌّ هائلٌ من مختلف مدن الأردن وقراه وباديه، ومن اللاجئين من دول الجوار، استقرّوا هنا وراء لقمة العيش، وأغنَوا المشهدَ والمكوّنَ الثقافيّ، فكلّ واحد منهم يحمل إرثه معه، فتلوّنت اللوحة الزَّرقاويّة بمكوّنات نادرة في هذه البقعة الصغيرة؛ لتنطقَ بأحلام كثيرة ما بين مُخيّلة وذاكرة وإبداع.

أمّا شرق سكّة القطار، فموطن عشائر بدويّة أصيلة، جباه سُمر، وزنود قويّة، وأدبيّات فيها من روح الصحراء وأنفة البدويّ الكثير، كلّها دومًا حاضرة في المشهد الثقافيّ، فالهجيني والسامر وقصص الأبطال لا تخلو منها أمسية.

وهناك ليس بعيداً، وسط الصحراء، حيث الحجارة البركانيّة السوداء الصلبة، وحول واحة الأزرق عشائر أردنيّة أصيلة، استوطنت قربَهم القبيلةُ العربيّةُ الأصيلة بنو معروف، فتشكّلت حالة ثقافيّة نادرة، فكلّ واحد منهم متمسّك بإرثه الثقافيّ، فأغاني الجبل وأهازيج القرى والهجيني ما زالت -وستبقى- تُطرب الصحراء على اتساعها، وطوْع الصخر الأصمّ بين أيدي ساكني تلك البقعة القاسية المناخ؛ لتصيرَ جنّةً من جنان الأردن.

هي الزَّرقاء... حاضنةٌ لأهلها وزائريها، كانت وستبقى لوحةً مُنمَّقةً بالمحبّة والإخاء، وستبقى أيقونةً مُميَّزةً في المكوّن الثقافيّ الأردنيّ، وحاضنةً لكلّ هذه الثقافات، مُعزّزة حضورها في الصدارة، يرى فيها المُتمعّن ثراءً في الدهشة، وصلابةً في الموقف، ولينًا في العطاء، ولُحمةً فطريّةً جمعت الكثير ممّن اتّفقوا على حبّ الحياة والعمل، وعشق الأردن العظيم.

• ميدان الجيش في الزرقاء

• الجامعة الهاشمية

• قصر شبيب

• مبنى محافظة الزرقاء

• مدرسة الزرقاء الثانوية للبنين التي تأسست عام 1935

• للفنانة تالين الحلاق

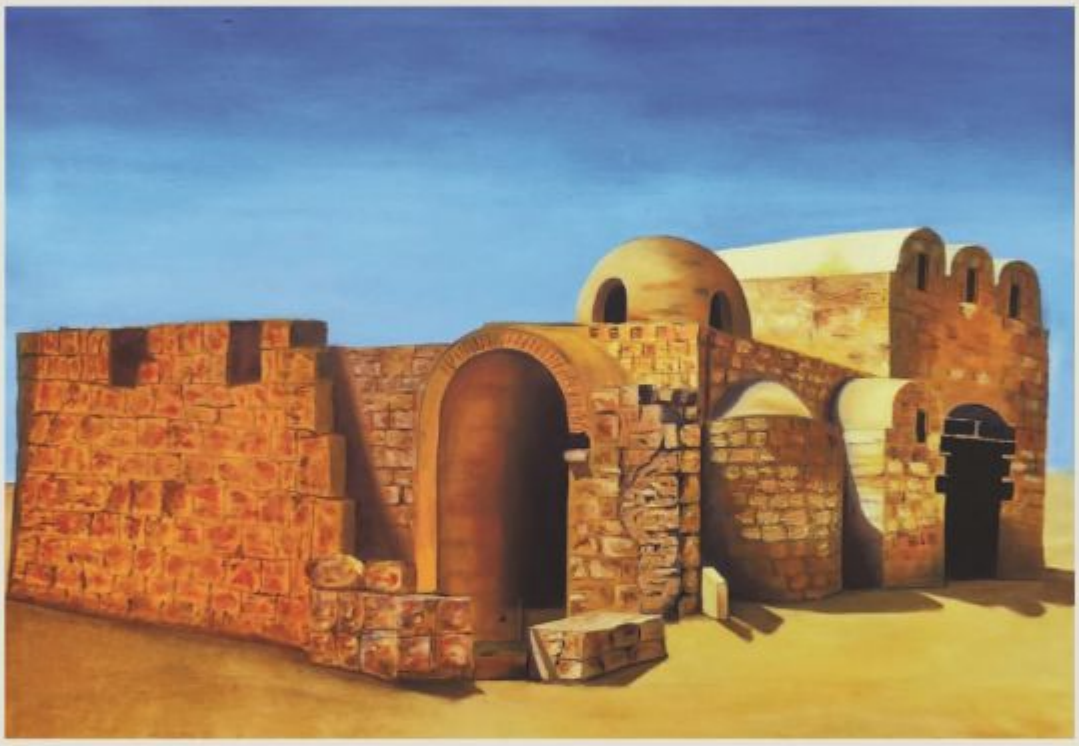

• للفنانة رشا صدقي

وزارة الثقافة
صوت الجيل 40
العدد 40 من الإصدار الجديد 2026
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية